أزاهير
وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً

ربيع الأول ١٤٤٠ هـ - كانون الأول ٢٠١٨ م
نشرة شهرية مجانية تصدر عن أزهر البقاع

العدد ٨٦

مولدُ الرسول الأمين.. ذكرى وَعبرة للعالمين

■ صحيفة دولة المدينة
صفحة ٣٩

■ ارجعوا إلى كتاب الله وسنّة نبيه
صفحة ١٠

أزاهر

وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً

مجلة شهرية مجانية تصدر عن أزهر البقاع, نهاية كل شهر هجري, وهي مجلة شاملة ومنوعة, تعنى بالقضايا الدينية والثقافية والاجتماعية, ويساهم في كتابتها مجموعة من أصحاب العلم والرأي الحر والفكر المستنير من لبنان والوطن العربي, قال تعالى (قُل هَلْ يَستَوِيْ الذينَ يَعلَمُونَ والّذينَ لا يَعلَمون) وبالاستناد إلى هذه الآية الكريمة وأمثالها, أردنا أن تكون مجلة أزاهر (مدرسة للمتعلم وتذكرة للعالم) من أجل الرقي بالمستوى الثقافي والحضاري لدى القارئ الكريم, آملين أن تشارك المجلة في النهضة العلمية والفكرية لوطننا العربي وعالمنا الإسلامي والله من وراء القصد

08622727 - 70141360 - marwanmais38@yahoo.com

Designed by : **Saleh Ahmad** - salfree95@gmail.com - 76942706

كلمة العدد

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وأما بعد، تصدر المجلة في مناسبة عزيزة على المسلمين، هي عيد ميلاد الرسول محمد صلى الله عليه و سلم، و لهذه المناسبة تقدم أسرة تحرير مجلة أزاهر خالص التهاني والتبريكات إلى المسلمين كافة في مشارق الأرض و مغاربها، سائلين الله عزّ و جلّ أن يعيده بالخير و البركة على العرب و المسلمين. و في الوقت الذي يحتفل فيه العالم الإسلامي بذكرى عيد المولد النبوي، فإننا في لبنان نشعر بالقلق نتيجة الوضع السياسي، الذي لا يبدو أنه في حالة استقرار كما كنا نتمنى، فاستحقاق تأليف الحكومة يتعثر، و تشكيل الحكومة يتعطل، و الفرقاء السياسيون أغرقونا في جدل لا يراد له أن ينتهي، حيث كل فريق يلقي باللائمة على غيره، و هكذا فإن الوضع العام يراوح في مكانه، و ما من بادرة تلوح في الأفق لنهاية قريبة، و من المؤكد أن هذا الحال واقع له انعكاسته السلبية على الشعب اللبناني، و مجمل الحياة اليومية، و على الرغم مما نعاني منه، فإننا لا نفقد الأمل بالخلاص، فالشعب اللبناني لا تنقصه الإرادة و لا الحكمة على العمل بجد لتجاوز الحالة الحاضرة، و نذكّر بقوله تعالى: (وقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ ورَسُولُهُ والْمُؤْمِنُونَ). و تزامنا مع عيد المولد النبوي كتب سماحة المفتي الشيخ خليل الميس مقاله بعنوان (مولد الرسول الأمين، ذكرى و عبرة للعالمين) ، وفي هذا العدد ننشر مقال د.شوقي علام (مولد الرسول... نحو مجتمع آمن مستقر)، ومقال (أجيبوا داعي الله) للدكتور علي أبو غنيم، وتحقيق (في السيرة النبوية) كتبته السيدة صفاء لولو، ومقال (صحيفة دولة المدينة...دستور دولة النبوة) كتبه د.محمد عمارة، فيه بيان الأسس التي وضعها الرسول صلى الله عليه و سلم لتنظيم الحياة الدينية و الدنيوية في المدينة المنورة بعد هجرته الكريمة إليها، أما الأستاذ حسين محمد الحسن فقد كتب بحثا عن (العلاقات الدولية في الإسلام)، و فيه تعريف بالعلاقات بين دولة الإسلام و غيرها من الدول، و في هذا العدد مقالات أخرى منها على سبيل المثال ، مقال عن استقلال لبنان، و مقال آخر عن الواجب تجاه القدس الشريف، و مقال مهم عمن يكتب بلغة أجنبية، و هناك مقال عن الحضارة العربية، و غير ذلك من المقالات، التي كتبها أساتذة أفاضل، نتركها بين أيدي القراء الكرام، و نحن نأمل أن تلقى رضاهم، و ختاما نترككم بحفظ الله، و الى لقاء جديد، و السلام عليكم ورحمة الله و بركاته.

أسرة التحرير : د.رعد مقبل العبيدي - الشيخ مروان الميس - د.نادر جميل جمعة

محتويات العدد

القول الفصل	3
أخبار الأزهر	7
ارجعوا إلى كتاب الله وسنّة نبيه	10
أجيبوا داعي الله	15
مولد الرسول-نحو مجتمع آمن مستقرّ	20
في السيرة النبوية	22
الوجوه والنظائر	25
توازن طريق الاستقامة	28
التغافل من أخلاق الكرام	29
الرعد.. ظاهرة كونية	31
من روائع الشعر	32
لك الحمد يا الله	34
صحيفة دولة المدينة: دستور دولة النبوة	39
بحث عن العلاقات الدولية في الإسلام	41
الواجب المطلوب نحو القدس	47
الاستقلال.. بنيان لم يكتمل	49
أكذوبة الإعلام لا يكذب	51
دور المرأة في الدفاع عن قضايا الأمة	53
من يكتب بلغة أجنبية	58
الحضارة العربية	63
وجدانيات	68
دور الأسرة في الوقاية من الإدمان	71
نترككم بحفظ الله	72

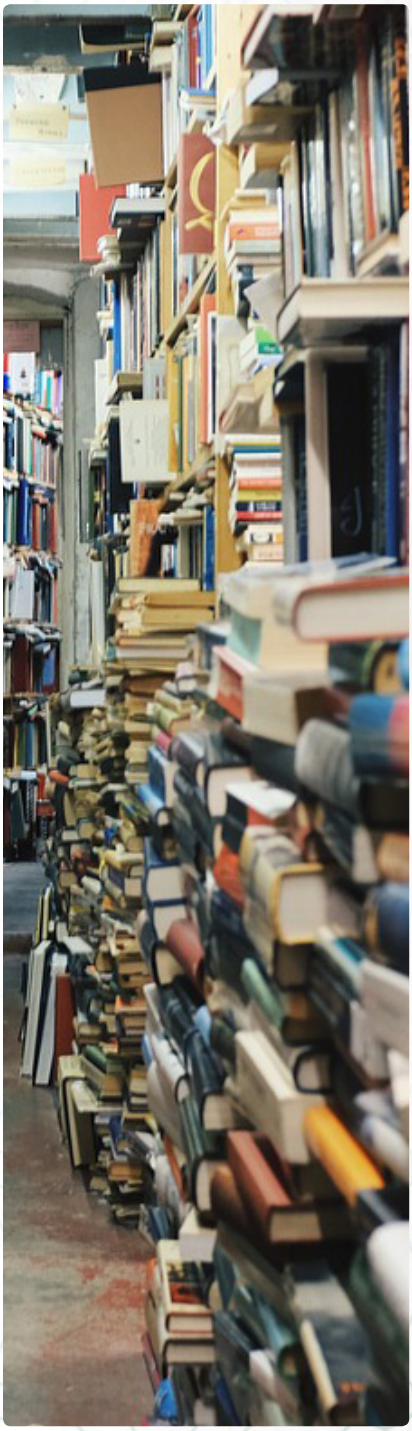

القول الفصل - **مولد الرسـول الأميـن، ذكرى وعبـرة للعالميـن**

الشيخ خليل الميس - مفتي زحلة والبقاع

بسم الله الرحمن الرحيم

السلام عليكم و رحمة الله و بركاته،

الحمد لله وحده و الصلاة و السلام على من لا نبي بعده، محمد و على آله و صحبه، و أما بعد،

عندما نتحدث عن الرسول الكريم محمد صلى الله تعالى عليه و سلم، فإن الحديث يصعد بنا إلى آفاق عالية و متسامية، من رفعة الروح، و عظمة النفس، و روعة السلوك، و نكتب عن النبي صلى الله عليه و سلم، و هذه الكتابة ليست للسيرة النبوية فهي أشهر من نار على علم، و هذه الكتابة ليست شرحاً للإسلام فهو نور يضيء الدنيا، و هذه الكتابة إنما هي لتقدير عبقرية الرسول محمد صلى الله عليه و سلم، الذي خدم الإنسانية، فصار كل مسلم مديناً له بالشكر على الهداية إلى الإسلام دين الله الحق، فمن الحق و الواجب أن نرد الجميل بالشكر و بالحب و الوفاء و التزام العمل بقيم الإسلام، و التمسك بأركانه، و الإيمان به، و نشر رسالته بين الناس كافة.

و الرسول الكريم جاء لتبليغ الدين القويم فكان الفيصل بين الأخيار و الأشرار، فمن آمن كان بلا شك ممن يصغي إلى القول و يحسن الحكم و يتبع العقل. أما الأشرار فهم كل من استكبر أو من طغى و تجبر، و اتبع هواه و ضيع عقله.

إن الحديث بإيجاز عن الرسول محمد صلى الله عليه و سلم يكفي و يغني، لأن مكانة النبي بالغة السمو و العظمة، سامقة الرفعة، و يكفي أن تأريخ البشرية كله قد تغير بنزول الوحي على النبي صلى الله عليه و سلم، و إعلانه الإسلام ديناً للناس كافة، يهدي للتي هي أقوم.

و القرآن الكريم وثق لنا مولد الرسول محمد صلى الله عليه و سلم، و ذلك بوصف دقيق، و عبارة محكمة، و معاني واضحة، كما جاء في الآية التالية: (أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى* ووجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى* ووجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى) (الضحى8-7-6)

و تأمل هذه الآيات الكريمة يُظهر بصورة جلية أن الله سبحانه و تعالى قد أسبغ على الرسول عناية إلهية، و رعاية سامية بالإشراف عليه في كل أطوار عمره، فالله سبحانه و تعالى هو الذي آوى الرسول عندما أصبح يتيماً، و الله سبحانه و تعالى هو الذي أنزل الوحي على الرسول ليهديه إلى طريق الحق و نور الإسلام، و الله سبحانه و تعالى هو الذي كرم الرسول محمد بأن أنعم عليه من الخير و البركة، و ما تركه عائلاً يقاسي العوز أو شظف العيش.

إن مهمة الرسول الكريم التي حمله الله سبحانه لواءها، هي الدعوة و البلاغ لقوله :(ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ۖ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ)(النحل125-) ، و لهذا ما كان الرسول الكريم بحاجة إلى حمل السيف أبداً، لو لم يفرض عليه ذلك الغزو المسلح من مشركي مكة و أعداء الإسلام. إن محمداً رسول الله جاء الحياة ليعطي لا ليأخذ، جاءها ليبلغ كلمة الله و رسالته إلى عباده.

و هكذا جاء محمد صلى الله عليه و سلم ليرد الخلق للرب الرحيم و ليهديهم إلى طريقة المستقيم، ببهاء كلماته، و سمو منطقه، و بالحجة الناطقة بالحق و الصواب كان الرسول يدعو و ينادي التائهين، و يبث دعوة الإسلام... دعوة الحق و العدل. إن حياة الرسول الكريم معجزة خالدة، عجز عظماء العالم أن يأتوا بمثلها، ففي تفاصيل سيرته تجلت العزة و العظمة فقد صدق التبليغ، و أخلص لرسالة الإسلام، و اتخذ القرارات بالحق، و ما كان ظالماً، و لا باغياً، و لا غادراً، و لا خائناً.

و لقد عاش النبي محمد صلى الله عليه و سلم حياة طاهرة باهرة، و كانت أخلاقه القرآن الكريم الذي صاغه و أنزله الرحمن الرحيم، و قد عاش حياته و جند نفسه و بذل جهده يدعو إلى التوحيد و نبذ الشرك، و كان يتبع بصيرة واعية، و هو مالك القوة و الثقة لنصرة الفضيلة، و نبذ الرذيلة، و كان حافظاً للعهد مهما كلفه ذلك من مشقة، و كان من حسه المرهف و ذوقه الرفيع أنه سن الآداب للناس و علمهم السلوك الحسن، و كان متواضعاً لم يطمح لمال و لا لملك و لم يسع إلى مباهج الدنيا. كان عمل الخير أسلوبه الأخاذ، فكان يعمل و هو يرسم القدوة الحسنة، و المنهج إلى الفضيلة، و يقدم المثل الأعلى، فكان واجباً على الدعاة من بعده أن يسيروا في خطاه.

إن مولد الرسول محمد صلى الله عليه و سلم و الكتابة عنه ملأت الدنيا و شغلت الناس، و كانت و مازالت حديثاً عن الهدى و الإيمان و الاستقامة و الخلق العظيم، فالقرآن الكريم الذي أنزل على رسول الله يهدي للتي هي أقوم، (إِنَّ هَـٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا) الإسراء) (9) وقد كان الرسول محمد أعظم الهداة الذين عرفتهم البشرية.)

و الإيمان صفة لازمة لكل مسلم و كان الرسول محمد أول مؤمن برسالة الإسلام أوقف حياته على تبليغها، و بذل جهده من أجل أن يؤمن

الناس بعبادة الله الخالق وحده و التخلص من شرك الجاهلية و عبادة الأصنام.

و الاستقامة طريق الخير تظلله نعمة الله، و كان ذلك طريق الرسول محمد امتثالاً لقوله تعالى: (اهدنا الصراط المستقيم صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ).(الفاتحة6)

و الأخلاق القويمة كانت خلق الرسول محمد صلى الله عليه و سلم بشهادة القرآن الكريم: (وإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ)(القلم4-)، و تأكيد الرسول الكريم:"إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق".

و لم تقف نعمة الله تعالى على الرسول الكريم عند المظاهر المادية فقط، بل إن الله سبحانه و تعالى علم النبي صلى الله عليه و سلم، و هذا ما يؤكده قول الرسول الكريم:"أدبني ربي فأحسن تأديبي"، بمعنى علمني ربي فأحسن تعليمي، و القرآن الكريم يلقي المزيد من الضوء على علم و معرفة الرسول بقوله تعالى: (نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَـٰذَا الْقُرْآنَ وإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ)(يوسف3).

و الله سبحانه و تعالى هو الذي ألهم الرسول محمداً الحكمة، فالقرآن الكريم يقول: (وأَنزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ والْحِكْمَةَ وعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيما) (النساء113).

و من فضل الله سبحانه على النبي محمد صلى الله عليه و سلم أن أنزل عليه القرآن الكريم بإعجاز لغوي تحدى المشركين أن يأتوا بآيات مثله فما استطاعوا إلى ذلك سبيلا، و عن هذا جاءت الآية الكريمة بالنص: (قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ والْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَـٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ ولَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا) (الإسراء88-)،

و نتيجة من الإعجاز اللغوي للقرآن الكريم، كان الرسول صلى الله عليه و سلم أبلغ العرب، و قد صدق الشاعر العربي عندما قال:

فما عرف البلاغة ذو بيان
إذا لم يتخذك له كتابا

و النعم و المكارم للنبي صلى الله عليه و سلم لا تعد و لا تحصى و من ذلك أن الله سبحانه و تعالى ميزه من الأنبياء السابقين عليه، بأن جعل الإسلام الدين الحق و النبي صلى الله عليه و سلم خاتم الأنبياء و المرسلين، و جعل الشريعة الإسلامية ناسخة ما قبلها من الشرائع.

و نص القرآن الكريم بالقول: (إن الله وملائكته يصلون على النبي ياأيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما)(الأحزاب56-)، و هذه الآية الكريمة تظهر علو مقام الرسول محمد صلى الله عليه و سلم، و مكانته المميزة عند الله سبحانه و تعالى و التي لم يسبقه إليها أحد أياً كان، و ما وصلها من بعده أحد.

إذن بحكم القرآن الكريم يتوجب على كل مسلم أن يتقيد بهذا التكريم الإلهي و أن لا ينقطع عنه لحظة و لا ينساه، و أن يجري التعبير عنه

بكل الوسائل المقبولة شرعا، و لا يقتصر ذلك على حياة الرسول الكريم فقط، بل هو تكريم دائم و مستمر في حياته الكريمة و بعد وفاته، بدليل أن الله سبحانه و تعالى هو (اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ)، و ربطاً بالآية السابقة فإن الله سبحانه و تعالى هو و ملائكته يصلون على النبي الكريم بلا انقطاع و ليس في وقت معين قد انتهى، لأن الفعل (يصلون) يدل على الحاضر و المستقبل بلا حدود.

إذن الإحتفاء بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم قائم و دائم لا يرتفع و لا ينتهي بزمن معين، و هذا ما هو بين و ظاهر من ذكر الرسول محمد في الصلوات الخمس التي يؤديها المسلم كل يوم.

إن عظمة الرسول الكريم عالمية في مداها، فالمؤمنون بدين الإسلام و رسالته يتوزعون مشارق الأرض و مغاربها، و أينما ذهبنا فثمة من يشهد أن لا إله إلا الله و أن محمداً رسول الله، و كم من ملايين المرات يردد المسلمون يومياً "محمد صلى الله عليه و سلم"!

و أهل العلم يقولون: الصلاة من الله رحمة، و من الملائكة استغفار، و من المؤمنين دعاء، و كلنا نعلم أن رحمة الله و سعت كل شيء و هي دائمة بلا انقطاع، و طلب المغفرة مستمر من الملائكة و البشر أيضاً، و دوام الصلاة على الرسول الكريم واجب على كل مسلم.

إذن ذكرى مولد الرسول محمد صلى الله عليه و سلم، هي تجديد لكل هذه القيم و المعاني و استذكار لها، و هي بالفعل عيد لكل مسلم لهدايته إلى نور الإيمان و السير في طريق مستقيم هو صراط الذين أنعم الله عليهم، غير المغضوب عليهم و لا الضالين، و هو عيد كل مسلم لما أصبح عليه من الأخلاق القويمة السامية، و هو عيد كل مسلم لأنه سار في حياته كما طلب منه سبحانه و تعالى و هكذا يضمن المسلم مكانه المرتجى في الآخرة، فمن هو أجدر بأن يعتبر مولد الرسول الكريم عيداً للإنسانية عامة و للمسلمين خاصة؟ و قد كان الرسول محمد هو صاحب كل هذه الفضائل على البشر و كان معلمهم الفذ الذي أخذ بأيديهم إلى مطالع النور و الهدى و الخير و قد صدق الشاعر بقوله:

و علمنا بناء المجد حتى
أخذنا إمرة الأرض اغتصابا

و أخيراً و ليس آخراً نتوجه إلى الله تعالى بالدعاء أن يحفظ الإسلام و المسلمين و ينصرهم على أعدائهم و نختم بقول شاعرنا:

فالطف لأجل رسول العالمين بنا
و لا تزد قومه خسفاً و لا تسم
يا رب أحسنت بدء المسلمين به
فتمم الفضل و امنح حسن مختتم

والسلام عليكم و رحمة الله و بركاته.

- أخبار الأزهر -

زيارة

بتأريخ 28-1-2018م سفير أندونيسيا في لبنان زار في أزهر البقاع سماحة المفتي الشيخ خليل الميس ليطمئن على صحته ، كما و التقى طلاب الأزهر الوافدين من أندونيسيا.

زيارة

بتأريخ 23-1-2018م الدكتور زغلول النجار المعروف بتخصصه في الإعجاز العلمي بالقرآن الكريم والسنة النبوية، زار في أزهر البقاع سماحة المفتي الشيخ خليل الميس ، كما إلتقى طلاب وطالبات الأزهر وقد أجرى حوارا معهم وأجاب عن تساؤلاتهم وإستفساراتهم.

احتفال بالمولد النبوي الشريف

نظمت إدارة أزهر البقاع إحتفالاً بذكرى المولد النبوي الشريف للعام 1440هـ 2018-م، وقد حضر الحفل مفتي زحلة والبقاع الشيخ خليل الميس ومفتي بعلبك الشيخ خالد الصلح والمدير العام لمؤسسة منبر الأقصى الدولية عبد الله جاهد غول ولفيف من العلماء والهيئة التعليمية في الأزهر، هذا وقد أنشدت فرقة أغاريد الشام الدينية عددا من مقطوعاتها، كما تخلل الاحتفال كلمات لطلبة الأزهر وإلقاء قصيدة شعرية تدعو لنصرة الأقصى ومباركة لصمود أهل غزة في وجه الإحتلال الصهيوني.

مؤتمر نصرة فلسطين

يوم الأحد 18-11-2018م إنعقد مؤتمر الهيئة الدائمة لنصرة القدس وفلسطين بعنوان "منبر المسجد الأقصى نحميه معاً... نحرره معاً"...
وذلك في قاعة المها بمسجد ذي النورين ببيروت. حيث شارك مفتي الجمهورية اللبنانية الدكتور عبد اللطيف دريان ممثلاً بفضيلة القاضي خلدون عريمط، كما وشارك سماحة مفتي زحلة والبقاع الشيخ خليل الميس ممثلاً بفضيلة الشيخ عاصم الجراح ، وقد تميزت المشاركة من حضور نوعي لشخصيات حضرت المؤتمر من تركيا وفلسطين ، و كان هناك حضور كثيف من لبنان.

محاضرة طبية

مركز البحث العلمي في أزهر البقاع نظم محاضرة طبية للدكتور عمر حمدي عن أمراض القلب والشرايين، وذلك يوم الإثنين 19-11-2018م، و قد حضرها طلاب الازهر و مجموعة من المشايخ.

حفل تخريج

مركز الإمام الشاطبي في كامد اللوز أقام حفل تخريج لحافظات كتاب الله تعالى يوم السبت 23 تشرين الثاني 2018م ، وقد مثل سماحة مفتي زحلة والبقاع الدكتور الشيخ علي الغزاوي شيخ قراء البقاع.

حفل تكريم

بتأريخ 28-1-2018م و برعاية دولة الرئيس سعد الحريري، مؤتمر الإبداع العربي والريادة نظم حفلا تكريميا ، حيث جرى منح سماحة مفتي زحلة والبقاع الشيخ خليل الميس درع التميز والإبداع والريادة لعام 2018م تقديرا لما قدمه سماحة المفتي من مساهمة فاعلة في بناء الإنسان العربي المسلم على طريق تحقيق البناء والرخاء للمجتمع العربي و الاسلامي، ليصبح من المجتمعات المتقدمة و المتحضرة ان شاء الله.

حفل توقيع ديوان شعر

بتأريخ 18 تشرين الثاني 2018م ، و برعاية سماحة مفتي زحلة والبقاع الشيخ خليل الميس، جرى في أزهر البقاع حفل توقيع ديوان شعر " الدر النضيد" للشيخ نجيب أبو شاهين، وقد بدأ الحفل بآيات من القرآن الكريم تلاها الشيخ علي الغزاوي شيخ قراء البقاع، و بعده القى الشيخ سليم يوسف كلمة عرف فيها بالديوان ، كما انشد قصيدة من نظمه تحية للشاعر ، ثم القى الشاعر الشيخ نجيب أبو شاهين قصيدة لمناسبة المولد النبوي الشريف ، نشرتها المجلة في باب روائع الشعر، وبعده تفضل سماحة مفتي زحلة والبقاع الشيخ خليل الميس بالقاء كلمته، التي اشاد فيها بفضل الشاعر و نوه بديوانه ، و من الجدير بالذكر ان الحفل قد حضره و شارك فيه جمع غفير كان في مقدمتهم وجهاء من البقاع و المشايخ. .

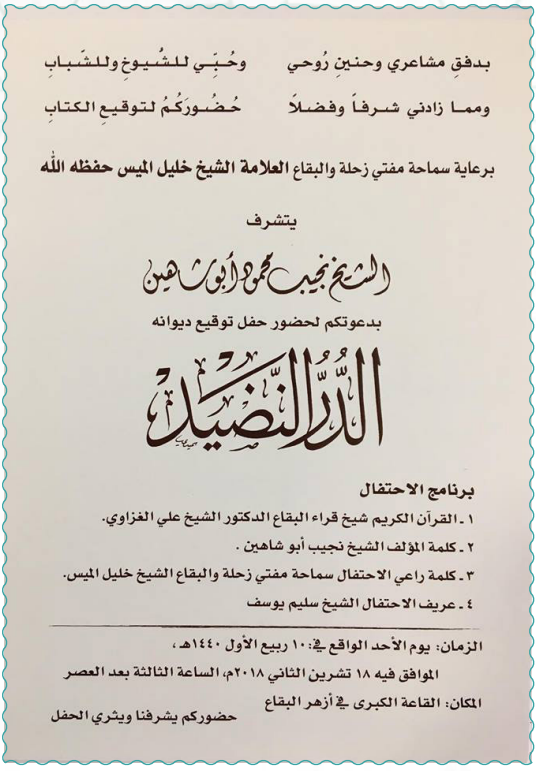

زيــارة

قام الشيخ مروان الميس و الحاج ياسين مرعي المستشار لدار الفتوى بزيارة الأستاذ منير صبح مدير الإدارة المشتركة في وزارة الأشغال، و ذلك لتقديم تحيات سماحة مفتي زحلة والبقاع وشكره للاستاذ يوسف فنيانوس وزير الأشغال، لما تقوم به الوزارة من خدمات مميزة منذ توليه شؤون الوزارة، و منها على وجه الخصوص ما قدمته الوزارة من خدمة مشكورة لدار الفتوى في البقاع، كذلك ما قدمته الوزارة لعموم الشعب اللبناني من خدمات تنم عن الوطنية و الجدية التي تنتهجها وزارة الأشغال في جميع ما تقوم به من أعمال.

ارجعوا إلى كتاب الله وسنّة نبيّه

الشيخ عبد الله حسن - من العراق

لما جعل الله سبحانه وتعالى الإسلام خاتم الرسالات، وجعل سيدنا محمداً خاتم الرسل، وحفظ لنا هذا الدين ومنع أن تمتد إليه يد التحريف والتبديل... فمعناه **أن الله قد جعل الإسلام هو دين الله الحق الصالح للبشر أجمعين في كل زمان ومكان** وإلى قيام الساعة، وجعل ما جاء به سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم من كتاب وسنة هو المرجع الوحيد لدين الله...

ومعناه أن المسلم مأمور أن يفهم من قوله تعالى: (ومَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوى (3) إِنْ هُو إِلَّا وحْيٌ يُوحَى). ومن قوله تبارك اسمه: (ومَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ ومَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا) ومن قوله عزّ و جلّ: (ومَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ)...

فالمسلم مأمور من الله سبحانه أن يتقيد به في كل زمان ومكان وإلى قيام الساعة، تماماً مثله مثل المسلمين الأوائل من هذه الأمة... ومعناه أنه يجب أن يصلي ويزكي ويصوم ويحج... تماماً كما صلى وزكى وصام وحج الرسول صلى الله عليه وسلم ، وأن يبيع ويشتري ويتزوج تماما كما أمر عليه الصلاة والسلام، وأن يسير في دعوته تماما كما سار صلى الله عليه وسلم .

فالتأسي برسول الله صلى الله عليه وسلم على هذه الصورة معلوم من الدين بالضرورة، قال تعالى: (كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ والْيَوْمَ الْآخِرَ وذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرا) والمسلم ليس مخيرا في ذلك، قال تعالى: (ورَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجا مِمَّا قَضَيْتَ ويُسَلِّمُوا تَسْلِيما)، وقال تعالى: (فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ)؛ لذلك كان ما جاء به سيد الخلق أجمعين هو الصراط المستقيم وهو النور والضياء لنا في هذا الصرط.

ونحن عندما نقف كل عام على ذكرى مولد

الرسول صلى الله عليه وسلم فإنما يجب علينا أول ما نقف على هذا المعنى... ثم نستذكر كيف أنه لا عزّ للمسلمين إلا بالإسلام، وكيف أخرج الإسلام من أعراب البادية خير أمة للناس، وكيف كان النصر حليفهم ما تقيدوا بالإسلام واتبعوا سبيله، وكيف أصبحوا هداة ورعاة للبشر بقيادة نبيهم، واستمروا على ذلك قرونا وقرونا، يقوون بقوة تقيدهم وحسن اتباعهم، ويضعفون بضعف تقيدهم وسوء اتباعهم؛ حتى أصبح ما قاله سيدنا عمر رضي الله عنه لازمة عند المسلمين من قبل:

«نحن قوم أعزنا الله بالإسلام. فإن ابتغينا العزة بغيره أذلنا الله»... ونستذكر كيف أن الرسول صلى الله عليه وسلم جعل عمله في مكة منصبا، إلى جانب تبليغ العقيدة، على إقامة الدولة الإسلامية الأولى.

ففي مكة، دعا قومه إلى عبادة الله وحده، وكتّل معه من آمن به، وفي دار الأرقم كان (يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ). ومن ثم صدع بأمر الله نزولاً عند قوله تعالى: (فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ)، وقال للمشركين: «كلمة واحدة تعطونيها تملكون بها العرب، وتدين لكم بها العجم»، وهو الذي طلب النصرة من أهل القوة في قبائل العرب، وسمَّى الله من نصره من أهل القوة في المدينة الأنصار تشريفا لهم، ومدحهم بقوله تعالى: (وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) وبهؤلاء الأنصار نصر الله سبحانه الدعوة وأقام له الدولة الإسلامية الأولى. ثم بعد أن أقام الرسول صلى الله عليه وسلم الدولة الإسلامية في المدينة، حكم بالإسلام ورعى شؤون المسلمين بالإسلام، وأقام الجهاد لإعلاء كلمة الله، فجيشت هذه الدولة الجيوش ونشرت الإسلام...

ونحن مطالبون اليوم أن نسير في نفس الطريق التي سار فيها الرسول صلى الله عليه وسلم ، وأن نقوم بالأعمال التي قام بها والتي كان من شأنها أن أقامت الدولة، ونقوم بالخطوات نفسها التي قام بها...

ونحن اليوم على هذه المسافة الزمنية من مولد الإسلام دين الله الحق (مع مولد الرسول) فمن الأمانة التي يجب المحافظة عليها أن نعود إلى سيرة الإسلام العطرة والتأسي بالرسول صلى الله عليه وسلم في كل أمور حياتنا وأولها ما يجعل هذا الدين مطبقاً في هذه الحياة، ويجعل المسلمين يعيشون الحياة التي ترضي ربهم، ويجعلهم أعزاء، هداة مهديين.

ونحن اليوم نرى كيف أن أمة الإسلام تعيش في أسوأ حالاتها نتيجة للبعد عن التأسي بالرسول صلى الله عليه وسلم ، ونتيجة للإعراض عن تحكيم شرع الله، وأنها بعد أن استذكرت ماضيها الوضيء تريد الرجوع إلى التحاكم بالإسلام والعيش في رحابه، وحمل رسالته؛ ولكن هناك من يمنعها ويحاربها من أجل ذلك.

نعم، لقد صحت الأمة وانتفضت وثارت على واقعها، تريد العودة... ولكن شرار الخلق من

حكام الغرب وأذنابه من حكام المسلمين أخذوا يحاربونها حرباً إبليسية، بكل مكر ولؤم وإجرام ليمنعوها. وراحوا يشنون عليها حرباً عالمية ليمنعوها من أن تصل إلى غايتها من إقامة حكم الله في الأرض. لقد أفزعها أن ترفع هذه الثورات شعار «هي لله هي لله» وخطف قلبها أن تسمع المسلمون ينادون «محمد رسول الله قائدنا» ، وأرّقها أيما أرق أن تجعل شعارات الجُمَع آيات قرآنية من مثل: (إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ)، و لقد جعل هذا الواقع المستجد ان يعزم الغرب وأذنابه من الحكام على منع المسلمين من المضي بهذا الأمر، وأقام لأجل منع ذلك تحالفات دولية سياسية وعسكرية.

إن قوى الكفرعندما تحارب الإسلام وتعمل على منع عودته إلى مسرح الحياة فلأنها تعلم تماماً كيف ستكون دولة الإسلام، و هم يعلمون أنها ستعيد مجد حضارة وقوة العرب و المسلمين، ويعلم هؤلاء أن للإسلام مقدرة التوسع والتأثير والانتشار بحسن تطبيق الإسلام . إن قوى الكفر تعلم أن المبدأ الرأسمالي وصل إلى حد السقوط، فقد بان لأهله قبل غيرهم أن لا يوجِد الاطمئنان، بل هو أفضل من يولِّد الأزمات، وأنه مبدأ تستفيد منه أقلية جشعة لا تتجاوز الآلاف على حساب مليارات الشعوب، وأنه يقوم على الظلم والقتل وتجارة الحروب، فلا نخطيء اذا قلنا قد آن أوان لعودة الإسلام إلى مسرح الحياة، إلى مسرح العلاقات الدولية، إلى مسرح القيادة من جديد؛.

ومن أجل ذلك هناك من يحقد على الإسلام ،. وصدق الله العظيم في قوله: (ومَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ).

إن المسلم اليوم عندما ينظر إلى الواقع يجد فيه شدة تآمر على الإسلام بتشويهه، وعلى المسلمين باللعب بمصائرهم وسهولة تقتيلهم، ويجد أنه محاط بالظالمين من كل مكان، ولا يجد على الحق أعوانا... ولكنه عندما ينظر بمنظار الإيمان، وينظر إلى ما حدث مع الرسول صلى الله عليه وسلم ، وما مرَّ به الأنبياء من قبل من شدة إيذاء وكيف قابلوه بحسن التقيد والاتباع والتوكل على الله؛ يرى بأنه أقوى من هذا الواقع، ويشعر بمعية الله وحفظه وتأييده؛ فتختلف حساباته؛ فيرى أن الطريق التي يجب أن يسلكها للخروج من هذا النفق المظلم هي الطريق التي سلكها الرسول صلى الله عليه وسلم ، وأن النصر بيد الله وحده لا بيد غيره، ويرى أن الله هو الأشد قوة، وهو الذي ينصر عباده المؤمنين مهما بلغ ضعفهم وبلغت الشدائد التي تطالهم. ، وقد قيل فقد نجَّى الله إبراهيم من نمرود ونجى موسى من فرعون ونجى هود وصالحاً ولوط وغيرهم من أقوامهم، نعم إن المسلمين اليوم يجب أن يعوا جميعاً أن خلاصهم هو في دينهم.

إن أكبر هدية نقدمها للرسول صلى الله عليه وسلم اليوم في ذكرى مولده، مولد الإسلام، أن نتأسى بطريقته في التغيير، وإن أكبر عرفان بالجميل له هو بأن نعود إلى سيرته العطرة لنتلمس خطوات السير فيها. وليعلم المسلمون أنهم مهما بلغ بهم المصاب والشدة وضيق الحال؛ فإنهم أمام فنتة لا مخرج منها إلا بالله، ولا فرج إلا بتقواه، وإلا فإن مآسيهم ستتجدد، وستستمر حياة الضنك التي أخبرنا بها الله تعالى بقوله: (ومَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً

ضَنْكًا).

إن المسلمين اليوم أمام حل واحد لا ثاني له، وهو أن يجتمعوا لحل قضيتهم من منطلق الإيمان بالله وحده، فلا يشرِّقوا ولا يغرِّبوا، فالله لا يرضى أن يكون له شريك في الحكم والطاعة، قال تعالى: (مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا)، فالحق هو في هذا الدين، وما عداه فضلال وجاهلية، قال تعالى: (فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ) وقال سبحانه: (أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ) .

فالناظر في كتاب الله سبحانه وتعالى يرى أن المسلمين اليوم يمرون بأوضاع مشابهة لما مر به رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم والأنبياء الكرام صلوات الله عليهم. وهؤلاء جعلهم الله لنا أسوة حسنة؛ نهتدي بآثارهم ونقتدي بأعمالهم ونعتبر بقصصهم... فقد مرَّ به سيدنا إبراهيم عليه السلام عندما واجه وحده قومه، وتحداهم بتحطيم أصنامهم فنصره الله بأن جعل نار حاكمهم بردا وسلاما عليه، قال تعالى: (قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ) ومرَّ به جمع سيدنا موسى عليه السلام وقومه من المؤمنين المستضعفين بعد أن تراءى مع جمع فرعون القوي المدجج بالسلاح؛ فأنفذ الله له وعده بالنصر وإهلاك فرعون ذي الأوتاد؛ وذلك في أحلك الظروف، قال تبارك اسمه: (فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ (61) قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ (62) فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ).

وها هو سيدنا محمد نبي الرحمة **في معركة الأحزاب** التي اجتمع فيها على الرسول صلى الله عليه وسلم وعلى المؤمنين معه أئمة الكفر ،كلهم يريدون استئصال الدعوة من أساسها، كما يحدث للمسلمين اليوم، يخاطبه ربه واصفا حال المؤمنين كم كانت صعبة فقال جلَّ ثناؤه في سورة الأحزاب: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحا وجُنُودا لَمْ تَرَوْهَا وكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرا (9) إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ ومِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا (10) هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدا). ثم قال الله تعالى جده في ثنايا السورة: (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ والْيَوْمَ الْآخِرَ وذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرا). ثم قال جلَّ من قائل: (ولَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وعَدَنَا اللَّهُ ورَسُولُهُ وصَدَقَ اللَّهُ ورَسُولُهُ ومَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وتَسْلِيما (22) مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ ومِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ ومَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا (23) لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ ويُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورا رَحِيما (24) ورَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرا وكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزا (25) وأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ وقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وتَأْسِرُونَ فَرِيقًا (26) وأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ ودِيَارَهُمْ وأَمْوَالَهُمْ وأَرْضًا لَمْ تَطَئُوهَا وكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا).

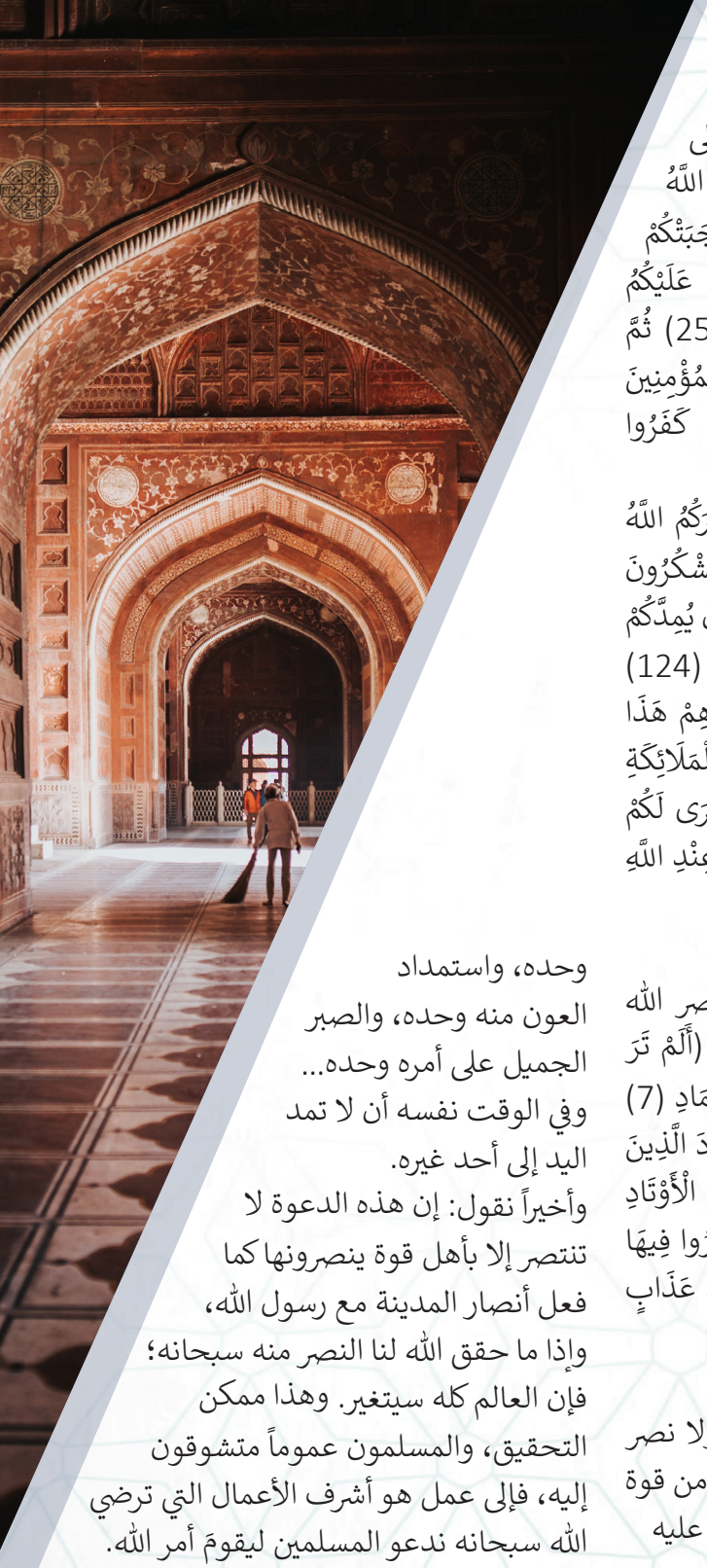

وفي معركة حنين، خاطب الله تعالى رسوله والمؤمنين بقوله: (لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ (25) ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ)

وفي معركة بدر قال تعالى: (وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (123) إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنْزَلِينَ (124) بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ (125) وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ).

وهناك آيات تختصر المشهد كله بنصر الله للمؤمنين على مرِّ العصور، قال تعالى: (أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ (6) إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ (7) الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ (8) وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ (9) وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ (10) الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ (11) فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ (12) فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ (13) إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ).

وعليه، فإننا إذا أردنا أن ينصرنا الله، ولا نصر إلاّ من الله، فعلينا أن نكون على شرطه من قوة الإيمان وصحة الالتزام، وحسن التوكل عليه وحده، واستمداد العون منه وحده، والصبر الجميل على أمره وحده... وفي الوقت نفسه أن لا تمد اليد إلى أحد غيره.

وأخيراً نقول: إن هذه الدعوة لا تنتصر إلا بأهل قوة ينصرونها كما فعل أنصار المدينة مع رسول الله، وإذا ما حقق الله لنا النصر منه سبحانه؛ فإن العالم كله سيتغير. وهذا ممكن التحقيق، والمسلمون عموماً متشوقون إليه، فإلى عمل هو أشرف الأعمال التي ترضي الله سبحانه ندعو المسلمين ليقومَ أمر الله.

أجيـبوا داعي الله ..

د.علي أبو غنيم - كاتب لبناني

قال الله سبحانه وتعالى:
[يَا أَيُّهَا الَذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وِلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ واعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ المَرْءِ وقَلْبِهِ وأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ] [الأنفال: 24].
ما أعظم المِنة التي امتنها الله تعالى على عباده، عندما أكمل لهم الدين، وأتم عليهم النعمة، ورضي لهم الاسلام دينا {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي ورَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينا } [المائدة: 3] . وما أكرم هذا الإنسان، عندما يفيء إلى الله تعالى، ويستجيب لدعوته ويبصر أمامه الطريق المستقيم، ليقوم بدوره في هذه الحياة، ويدرك معنى وجوده فيها! وعندئذ تتحقق له الحياة الحقيقية، الحياة الكريمة الطيبة.

فالذين يستجيبون لله وللرسول ظاهرا وباطنا هم الأحياء وإن ماتوا، وهم الأغنياء وإن قلَّت ذات أيديهم، وهم الأعزة وإن قلَّ الأهل والعشيرة.. غيرهم هم الأموات حقيقةً وإن كانوا أحياء الأبدان، يَسْعَوْنَ بين الناس جيئة وذهابا، [أَمْواتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ ومَا يَشْعُرُونَ] [النحل: 21] ، وهم الفقراء، ولو كان الذهب النُّضار يملأ خزائنهم، ويَعْمُر جيوبهم، وهم الذين تغشاهم الذلة، ولو كانوا يمتون بالنسب، ويحتمون إلى أعرق القبائل. ولهذا كان أكمل الناس حياة أكملهم استجابة لدعوة الله سبحانه وتعالى، ودعوة رسوله -صلى الله عليه وسلم-، الذي يعاشرها ويبلّغها عن ربه تبارك وتعالى، فإن كل ما دعا إليه فيه الحياة، ومن فاته جزء من الدعوة فاته جزء من الحياة، وفيه من الحياة بحسب ما استجاب لله وللرسول صلى الله عليه وسلم[1] .

والله سبحانه وتعالى يوجِّه الدعوة الكريمة للمؤمنين، ويستجيش فيهم عاطفة الإيمان، ويخاطبهم بهذه الصفة: صفة الإيمان، ويذكّرهم بمقتضى هذا الذي آمنوا به، فيناديهم بصفتهم مؤمنين ليكون ذلك حاملاً لهم على المبادرة إلى إجابة الدعوة بعناية واستعداد، وقوة وعزيمة. وهذا هو شأن المؤمن: إنه يتلقى أوامر الله ودعوته بقوة: [يَا يَحْيَى خُذِ الكِتَابَ] [مريم: 12] ، [خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ واذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ] ، [الأعراف: 171] فإن لهذه الدعوة أعباءها، وإن لهذه المهمة تكاليفها: [إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً] [المزمل: 5] . ولن يحمل هذه الدعوة ويصمد لها ويتغلب على عقبات طريقها، ويصبر أجمل الصبر عليها، ولن يعيش لها ويتحرك في دائرتها حركة

المؤمن بها الواعي لتكاليفها، إلا الرجال الأقوياء الأشداء، وعندئذ تكون الأمة التي تنجب هؤلاء المؤمنين الأفذاذ، والتي تأخذ هذا الكتاب بقوة، وتلتزم بالتكاليف.. أمةً ذات رسالة سامية وهدف عالٍ، تكافح وتجاهد من أجلهما [وجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُو اجْتَبَاكُمْ ومَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُو سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيداً عَلَيْكُمْ وتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ] [الحج: 143] ، وتكون هي الأمة القائدة الرائدة، التي أناط الله تعالى بها مهمة الشهادة على الناس جميعا، فتقيم بينهم العدل والقسط، وتضع لهم الموازين الربانية والقيم الثابتة..

هي الأمة العدل الوسط، كما وصفها الله سبحانه وتعالى الذي حدد لها هذه الوظيفة فقال: [وكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وسَطا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ويَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدا] [البقرة: 143] . وهذه الدعوة، التي يوجهها الله تعالى لعباده المؤمنين، دعوة إلى الحياة بكل صور الحياة، وبكل معاني الحياة ولكنها ليست أيَّ حياة، وإنما هي ... الحياة الكريمة العزيزة، الحياة الحقيقية الكاملة، التي يتميز منها الإنسان عن سائر المخلوقات، فإن هذه المخلوقات تحيا حياة بهيمية، يتحرك فيها المخلوق بدافع من بطنه أو فرجه، فهو لا يعرف له غاية نبيلة يسعى إليها، ولا رسالة يحيا من أجلها، ويكافح في سبيلها، فحسبُه دريهمات يملأ بها جيبه، أو لقيمات تملأ معدته الفارغة، وثياب تكسو جسده العاري، وليكن بعد ذلك ما يكون، فهو لا يسعى لأكثر من هذا !! .

إنها حياة القلب والعقل، بالعقيدة التي تعمر القلب، فتملأ كيان الإنسان نورا. وهداية: [أَو مَن كَانَ مَيْتا فَأَحْيَيْنَاهُ وجَعَلْنَا لَهُ نُورا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ] ... [الأنعام: 122] . [اللَّهُ وليُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ... والَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ] [البقرة 257] . وهي العقيدة التي تهدي العقل، وتضبط حركته وعمله، فتحميه من التيه والضياع، وتحفظ عليه جهده وطاقته من التبدد، عندما ترسم له منهج الفكر السليم، وتحدد المجال الذي يمكن أن يرتاده العقل ويستطيع أن يعمل فيه، ثم تحجب عنه ما لا يستطيع أن يفكر فيه أو أن يدركه، وعندئذ تتجمع الطاقة العقلية لتعمل في مجالها المحدد فتستطيع أن تحقق الكثير من الإنجازات العظيمة في نطاق السنن الربانية في الكون والحياة الاجتماعية والحضارية وفي أحداث التاريخ وأيام الله [2] .

وإنها **حياة للروح والجسد**، من دون انفصام بينهما ولا صراع، فما كان تعذيبا للجسد-في شريعة الله - سبيلاً لرقي الروح وتزكيتها، ما كانت العناية بالروح عاملاً يدفع المؤمن إلى ترك ما أحل الله للإنسان وتحريمه، ولا حرمانه من حق الحياة الطيبة والزينة التي أخرجها الله لعباده: [قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ والطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ القِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ] [الأعراف: 32] [وابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ ولا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ] [القصص: 77]

وهذا ما علمه النبي؛ -صلى الله عليه وسلم- لأصحابه وقذفه في قلوبهم وعقولهم، فكان درساً وتعليماً لا ينسى؛ فعن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي -صلى الله عليه وسلم- يسألون عن عبادة النبي -صلى الله عليه وسلم-، فلما أخبروا كأنهم تقالُّوها، فقالوا: وأين نحن من النبي -صلى الله عليه وسلم-، قد غُفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخَّر؛ قال أحدهم:

أما أنا فإني أصلي الليل أبدا؛ وقال الآخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر؛ وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدا. فجاء رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فقال: «أنتم الذين قلتم كذا وكذا؛ أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء؛ فمن رغب عن سُنتى فليس مني» [3] . ولن تتحقق هذه الحياة إلا بوحي الله سبحانه وتعالى: [وكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الكِتَابُ ولا الإيمَانُ ولَكِن جَعَلْنَاهُ نُوراً نَّهْدِي بِهِ مَن شاءُ مِنْ عِبَادِنَا وإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ صِرَاطِ اللَّهِ الَذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ ومَا فِي الأَرْضِ أَلا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الأُمُورُ] [الشورى: 5253-] . فقد سمى الله تعالى ما أنزل على رسوله روحا؛ لتوقف الحياة الحقيقية عليه، كما سمّاه نورا أيضا، لتوقف الهداية عليه، فقال الله، سبحانه وتعالى [يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ] [المؤمن: 151] ، كما سمّاه شفاءً أيضا، فقال: [قُلْ هُو لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدى وشِفَاءٌ] [فصلت: 44] .

وليس غريبا، بعد هذا، أن يجعل النبي، -صلى الله عليه وسلم- هذا الإيمان والعقيدة التي جاء بها كالمطر الذي ينزل على الأرض الهامدة فيحييها: عن أبي موسى الأشعري، رضي الله عنه، عن النبى -صلى الله عليه وسلم- قال: «مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم، كمثل الغيث الكثير، أصاب أرضاً، فكان منها نَقِيَّةٌ قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، وكان منها أجَادِبُ أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا وسقوا وزرعوا. وأصابت منها طائفة أخرى، إنما هي قِيعَانٌ لا تُمسك ماء، ولا تُنبت كلأ. فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به، فعَلِمَ وعلَّمَ. ومثل من لم يرفع بذلك رأسا ولم يقبل هُدى الله الذي أرسلت به» [4] .

فهي إذن دعوة إلى العقيدة والإسلام والإيمان، فقد أحياهم الله تعالى بالإسلام والإيمان بعد موتهم بالكفر. وهي دعوة إلى الحق والقوة، الحق الذي قامت عليه السموات والأرض، إذ لم يخلقهما الله تعالى إلا بالحق: [ومَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ والأَرْضَ ومَا بَيْنَهُمَا إِلاَّ بِالْحَقِّ] [الحجر: 85] ، والكتاب الذي أنزله الله تعالى على خاتم أنبيائه ورسله - صلى الله عليه وسلم- هو الحق: [والَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الكِتَابِ هُو الحَقُّ] ... [فاطر: 31] ، وقد أنزله الله تعالى بالحق: [نَزَّلَ عَلَيْكَ الكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِّمَا يْنَ يَدَيْهِ] [آل عمران: 3] . والشريعة التي أنزلها الله تعالى على رسوله هي حق وعدل، أكملها الله تعالى وبثها في كل الخلق: [هُو الَذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى ودِينِ الحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ] [الصف: 9] ، وما أرسل الله تعالى رسله ولا أنزل كتبه إلا ليقوم الناس بالحق والقسط بين الناس: [لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الكِتَابَ والْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ] [الحديد: 25] . وإذا كان الحق لابد له من قوة تحميه وتزيح العقبات من طريق حمله للناس وإبلاغه لهم، على حد قول الفاروق عمر، رضي الله عنه: إنه لا ينفع التكلم بحق لا نفاذ له..

فإن هذه الدعوة إلى الحياة، هي **دعوة إلى القوة والجهاد الذي أعزَّ الله تعالى به هذه الأمة بعد ذُل**، وقوّاها من بعد ضعف، فقد حُملت راية الجهاد في سبيل الله، لتقرير ألوهية الله تعالى في الأرض، لينعم البشر بدين الله، سبحانه وتعالى فيتحرروا من كل عبودية لغير الله، إذ هم عبيد لله تعالى وحده، وعندئذ تكتب لهم الحرية الحقيقية، والعزة الكاملة، فالجهاد هو طريق العزة والكرامة للأمة، هو طريق الحياة الحقيقية. وحتى عندما يموت المجاهدون ويستشهدون في سبيل هذه الدعوة، لن يكونوا عند الله تعالى إلا في عداد الأحياء، ولو كانوا في قبورهم، ولهم من الرزق الطيب عند الله ما لا يقاس به رزق الدنيا كلها، فهم الذين استجابوا لله والرسول: [ولا تَحْسَبَنَّ الَذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتاً بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ (169) فَرِحِينَ

بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ ويَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلاَّ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ ولا هُمْ يَحْزَنُونَ (170) يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وفَضْلٍ وأَنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ المُؤْمِنِينَ (171) الَذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ والرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ القَرْحُ] ... [آل عمران: 169 - 172] . ولقد كان المسلمون يعيشون هذه الحقيقة بحسهم وشعورهم المرهف، فالجهاد عندهم هو الحياة الحقيقية، والأمثلة على ذلك من الواقع التاريخي للمسلمين كثيرة؛ فهذا هو الفاروق عمر، رضي الله عنه، يرى غزو الروم بالشام ودعوة الصدِّيق رضي الله عنه، إلى الجهاد دعوة للحياة الحقيقية الكريمة: فقد جمع أبو بكر، رضي الله عنه مستشاريه فاجتمعوا لديه، وكان مما قاله لهم: وقد أردت أن أستنفركم إلى الروم بالشام، ليؤيِّد الله المسلمين، ويجعل الله كلمته العليا، مع أن للمسلمين في ذلك الحظَّ الوافر، فمن هلك هلك شهيدا، وما عند الله خير للأبرار، ومن عاش عاش مدافعا عن الدين مستوجبا على الله عزّوجلّ، ثواب المجاهدين..فتكلم كل منهم؛ عمر وعبد الرحمن بن عوف.. وعثمان بن عفان وطلحة والزبير وسعد وأبو عبيدة وسعيد ابن زيد والحاضرون.. واتفقوا مع أبي بكر رضي الله عنه على مبدأ فتح الشام. وانفض الاجتماع، وقام أبو بكر رضي الله عنه إلى الناس، فحمد الله بما هو أهله، ثم حثَّهم على الجهاد.. وسكت الناس، فما أجابه أحدٌ هيبة لغزو الروم لما يعلمون من كثرة عددهم وشدة شوكتهم. فقام عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال: يا معشر المسالمين مالكم لا تجيبون خليفة رسول الله إذا دعاكم لما يحييكم؟ .. أما إنه لو كان عَرضاً قريباً وسفراً قاصداً لابتدرتموه! [6] .

وهكذا كانت كلمة ابن الخطاب تخرج من مشكاة قوله تعالى: [يَا أَيُّهَا الَذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ ولِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ] . ثم هي الحياة الحقيقية في الجنة فالجنة هي دار الحيوان (أي لا موت فيها) ، و هي الدار التي تفيض بالحياة الحقيقية والحيوية، وفيها يتحدد مصير الإنسان الأبدي، بعد أن ينتقل من هذه الحياة الدنيا، فالدار الآخرة هي المتاع الذي ينبغي أن يحرص عليه المرء ولا يرضى به بديلاً، ولا يبغي عنه حولاً، ولذلك ينبغي الاستعداد والتأهُّب لتلك النهاية التي يصير إليها المرء، وعندئذ تنفتح أمامه آفاق سامية، وآماد بعيدة، ويرتفع إلى مستوى لائق بكرامته وإيمانه: [ومَا هَذِهِ الحَيَاةُ الدُّنْيَا إلاَّ لَهْوٌ ولَعِبٌ وإنَّ الدَّارَ الآخِرَةَ لَهِيَ الحَيَوانُ لَوْ كَانُوا يعْلَمُونَ] [العنكبوت: 64] . وأما الذين يرفضون الاستجابة لله والرسول فإنهم يرفضون الحياة الكريمة اللائقة بالإنسان، فليس لهم إلا الدُّون ومصيرهم الهلاك، ومآلهم الدمار والبوار:[أَلَمْ تَرَ إِلَى الَذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْراً وأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ البَوارِ (28) جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وبِئْسَ القَرَارُ] [إبراهيم: 29-28] . وما أعظم خسارة أولئك الذين آثروا الدنيا الفانية على الآخرة الباقية الدائمة!

وما أعظم ضلال أولئك الذين حصروا الوجود في هذا الذي تقع عليه حواسُّهم قريبا في الدنيا، ويحسبون أن وجودهم محصور فيها فلا يعملون لغيرها: وكل ما ألمحنا إليه من معاني الحياة في هذه الآية الكريمة من الإيمان أوالحق أو الجهاد أو الجنة في الدار الآخرة.. كل هذه المعاني مرادة ومقصودة، ولا اختلاف بينها، وكلها عبارات عن حقيقة واحدة، وهي: القيام بما جاء به الرسول- صلى الله عليه وسلم-، ظاهرا وباطنا، وما يظهر فيها من اختلاف إنما هو اختلاف تنوع لا اختلاف تضادّ [7] .يقول الإمام ابن القيم، رحمه الله: (والآية تتناول هذا كله، فإن الإيمان والإسلام والقرآن والجهاد تحيي القلوب الحياة الطيبة. وكمال الحياة في الجنة والرسول داعٍ إلى الإيمان وإلى الجنة، فهو داعٍ إلى الحياة في الدنيا والآخرة) [8] . وبعد، يا أخي المسلم: فهل تستجيب لهذه الدعوة الكريمة التي وجَّهها إليك رب العزة، جل جلاله؛

لتظفر بهذه الحياة الكريمة التي ألمحنا إلى شيء مما تعنيه، فتكون بسلوكك واستجابتك هذه مَعْلَما من معالم الطريق..؟ وإذا وُجِّهت إليك الدعوة ثانية، فهل تستجيب لها؟ .إنك لست بالخيار.. إن أردت أن تكون مؤمنا.. فإما إيمان.. أو لا إيمان.. إما استجابة.. وإما إعراض..ولن يكون مؤمنا ذاك الذي يُعرض عن دعوة الله، ولا يستجيب لها، فإن الاستجابة لله وللرسول، -صلى الله عليه وسلم- ، هي المحكُّ الحقيقي والمظهر العملي للإيمان: [إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ] [آل عمران: 169] . [لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ ولا أَمَانِيِّ أَهْلِ الكِتَابِ مَن يَعْمَلْ سُوءاً يُجْزَ بِهِ ولا يَجِدْ لَهُ مِن دُونِ اللَّهِ ولِياً ولا نَصِيراً (123) ومَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وهُو مُؤْمِنٌ فَأُوْلَئِكَ يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ ولا يُظْلَمُونَ نَقِيرا] [النساء: 123 - 124] . والمؤمن يستجيب لنداء الإيمان من فوره: [رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِياً يُنَادِي لِلإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وتَوفَّنَا مَعَ الأَبْرَارِ * رَبَّنَا وآتِنَا مَا وعَدتَّنَا عَلَى رُسُلِكَ ولا تُخْزِنَا يَوْمَ القِيَامَةِ إِنَّكَ لا تُخْلِفُ المِيعَادَ] [آل عمران: 192 - 193] . ولذلك قال عبد الله بن مسعود، رضي الله عنه: (إذا سمعت الله تعالى يقول. يا أيها الذين آمنوا! فأرْعِها سمعك، فإنه إما خيرٌ تؤمر به، وإما شرٌ تنهى عنه) .

الهوامش:

(1) الفوائد، لابن القيم الجوزية: 115 - 116، طبع دار النفائس، بيروت.

(2) خصائص التصور الإسلامي لسيد قطب: 54 - 68، 228 - 231، مذاهب فكرية معاصرة للأستاذ محمد قطب: 531 وما بعدها، التصور الإسلامي للكون والحياة والإنسان 102 107-، دار الأرقم بالكويت.

(3) أخرجه البخاري ومسلم، واللفظ للبخاري في كتاب النكاح انظر اللؤلؤ والمرجان: 1/324 - 325، طبع المكتبة الإسلامية بتركيا.

(4) أخرجه البخاري في كتاب العلم، واللفظ له، ومسلم في كتاب الفضائل، انظر: اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان، محمد فؤاد عبد الباقي: 2/ 223، شرح السنة للبغوي: 1/287 - 288.

(5) منهج الإسلام في الحرب والسلام، عثمان جمعة ضميرية ص 115 وما بعدها، دار الأرقم بالكويت (هامش غير مشار إليه) .

(6) الطريق إلى دمشق، أحمد عادل كمال ص 162 - 166، وقد أشار إلى فتوح الشام للأزدي وتاريخ دمشق لابن عساكر.

(7) جاء عن السدي أن الحياة هي الإيمان، وعن مجاهد: الحق، وقال قتادة: القرآن، وعن عروة ابن الزبير وابن إسحاق، وعن الجرجاني: الدار الآخرة، انظر: تفسير الطبري: 9/213 - 214 طبعة الحلبي، ابن كثير: 2/298 مكتبة الرياض، الفوائد لابن القيم: 115 - 116، تفسير البغوي: 3/18 بهامش الخازن، وعن تفسير التنوع والتضاد، انظر: مجموع الفتاوي ابن تيمية: 13/ 337،333 مقدمة في أصول التفسير: 38 - 42.

(8) الفوائد لابن القيم: ص 116.

مولد الرسول - نحو مجتمع آمن مستقرّ

الدكتور شوقي علّام - مفتي الديار المصرية

مثّل مولد النبى صلى الله عليه وسلم ميلادا جديدا للإنسانية وانطلاقة رشيدة فى مسيرة البشرية نحو العمران والحضارة وفق الأوامر الإلهية والقيم السامية، حيث جاء على فترة من الأنبياء والرسل، مُرسيا لقواعدي العدل ومبادئ المساواة، ومبينًا للحقوق والواجبات بين الناس تجاه بعضهم بعضا، وداعيا الأمم إلى السلام والتعاون،ومخاطبًا للعقول والقلوب بالتحلى بحقيقة الرحمة وسمات الصلاح.

وهذه المعالم هى سمات رسالته الخاتمة إجمالا، والتى لخصَّ صلى الله عليه وسلم جوهرها وحقيقتها فى كونها متممة لما لدى الإنسانية من فضائل وقيم، حيث قال صلى الله عليه وسلم: "إن الله بعثنى بتمام مكارم الأخلاق، وكمال محاسن الأفعال"(المعجم الأوسط للطبراني)، وانطلاقًا من ذلك قدَّم النبى صلى الله عليه وسلم منهجا محكما لحياة البشرية بصورة حقيقية شملت فى الواقع مختلف مقومات الإنسان ومجالاته.

إن ميلاد النبى صلى الله عليه وسلم قد أذن بوجود نموذج معجز مثَّل النسق الأعلى فى الإحاطة بجوانب الحياة مع نزاهة التعاليم وعدل التشريعات ومراعاة أهلية المكلف فى سائر التكاليف، حتى بات مقياسا دقيقًا توزن به المناهج والقوانين والإجراءات، فضلا عن اتفاق العقلاء على ضرورة الاستمداد منه لِما فيه من حيوية ومرونة.

هذا وقد أقام النبى صلى الله عليه وسلم للناس أمر دنياهم على أبدع مثال، حيث جمع الأمة على وفق الألفة والمودة ككتلة واحدة متزنة تحت إدارة منظمة تحوز السلطات، وجعل لها وثيقة عليا وتشريعات منضبطة ينبغى مراعاتها فى المعاملات والأخلاق سواء الفردية أو الجماعية، ووفر لها الموارد المالية والاقتصادية، ودافع عن هوية هذه الدولة وأمَّن مناطقها طرقًا وحدودا، وواجه أعداءها ومن يسعى لتفريق وحدتها، وعقد المعاهدات والتحالفات مع الآخرين حتى المعاندين المحاربين متى جنحوا إلى الصلح والسلام.

كما اهتم ببناء المجتمعات الجديدة مع رسم خطتها على وفق ما تقتضيه المدنيَّة والحضارة، وتصدى لتحقيق العدل والمساواة بين أفراد الأمة، ورسَّخ

أسس الحرية والمواطنة والعدالة الاجتماعية، ونشر العلم والتعليم وأساليب المدنية المتاحة، ومن ثَمّ جاء مسلكه فى كل ذلك حكيمًا أدى إلى استقرار المجتمعات الإنسانية وحافظ عليها من الهزات الاجتماعية العنيفة والطفرات السياسية العاصفة.

وبذلك جنت البشرية من ميلاد النبى صلى الله عليه وسلم فضلا من الله عظيما، لحصول نعمة الإيجاد فى هذا اليوم، التى هى سبب ومظهر لحصول كل خير تغتنمه البشرية فى الدنيا والآخرة، خاصة هذا النموذج للحياة المتكامل المؤسس تأسيسا عبقريًا، والذى أشاد به المخالف قبل المتبع، مما يقتضى بذل الشكر لله ولرسوله نبى الرحمة صلى الله عليه وسلم بإظهار السرور والفرح بذكرى المولد العطرة بشتى المظاهر والأساليب المشروعة، تحقيقا لقوله تعالى: "قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُو خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ"[يونس: 58].

ولا يقتصر أمر الشكر على مجرد إظهار الفرح والسرور وحَسْب، بل إن الشكر الحقيقى يقتضى أن يصاحب ذلك أن تستدعى مظاهره الجليلة فى ذكرى المولد النبوى العطرة حتى يمثل نقطة انطلاق قوية فى تجارب البشرية لتحقيق الرفاهية والسعادة والتعامل الحكيم مع الواقع ومقتضيات العصر، وذلك من الاتصال بهذا الإنسان الكامل، والتمسك بشريعته التى توجب تثبيت دعائم الدولة فى بلادهم خاصة فى ظل هذه الفتن والظروف الصعبة التى تعصف بهم من كل جانب، تحقيقًا للبناء المتماسك بين أبناء الأمة.ومما سبق، فإن ميلاد النبى صلى الله عليه وسلم من تجليات الرحمة الإلهية على الخلق كافة لما حصل فيه من نعمة إيجاد سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم الذى تمم للبشرية مكارم الأخلاق وقدَّم لها الإسلام كمنهج حياة شامل يؤسس لضرورة الأخذ بسمات المدنية، ويحث على التحلى بمظاهر التحضر والاستقرار ودعم قيام الدولة على وفق الثابت والمتغير حتى يقوم الناس بالقسط، امتثالًا لقوله تعالى: (لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ والْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ)[الحديد:25].

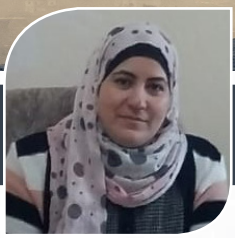

في السيرة النبوية

تحقيق صفاء لولو

السيرة النبوية من أجمل ما يمكن أن تسمع عنه أوتقرأه ، إذ أن فيها من العبر والخبرات والمواقف التي تعزز الثقة وتبني الأخلاق .ولا شك أنه لن تجف الأقلام في الحديث عن خير البشر وسيد الخلق ورسول الإنسانية سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، فسيرته النبوية زاخرة بكثير من المواقف والأحاديث المذكورة عنه مما تجعل عيوننا تدمع وقلوبنا تهتز شوقا إليه، فهناك مواقف كثيرة مؤثرة بالنفوس بينه وبين صحابته رضوان الله عليهم، وزوجاته أمهات المؤمنين، وأبنائه بل وحتى أعدائه.

فقد كان الأسوة والقدوة التي وجّهنا القرآن الكريم إلى إتّباعها والسير في خطاها كي ننال الفلاح والسعادة في الدنيا والآخرة، قال الله تعالى: (لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرا ((الأحزاب 21. فالمواقف للرسول الكريم عظيمة، وفيها ما يحاكي حياتنا ويرشدنا لكيفية التصرف في واقعنا اليومي . من هنا كانت الفكرة بأن نسأل عن أي من المواقف المأثورة من سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم قد أثر كثيرا بطلابنا، فتوجهنا بهذا السؤال الى طلبة الثانوية، و كذلك طلاب كلية الشريعة التابعة لأزهر البقاع.

وكانت البداية مع الطالب محمد في الصف الثاني الثانوي حيث أجاب بقوله: من الصعوبة إن أذكر التأثير لموقف واحد فقط، لأن المواقف المؤثرة للرسول الكريم يصعب احصاؤها، ولكن هناك موقفا يثير مشاعري و يجدد حبي لرسولي وأفتخر به، وأشعر فعلاً بأنه الرحمة المهداة، والنعمة الطيبة التي أكرمنا الله بها، و اقصد به ما حصل يوم بدر، عندما نزل الرسول صلى الله عليه وسلم بمنزل معين فجاءه الحباب بن المنذر وقال: يا رسول الله ،أرأيت هذا المنزل،أمنزل أنزلكه الله فليس لنا أن نتقدمه ولا نتأخر عنه،أم هو الرأي والحرب والمكيدة ؟ فرد عليه الرسول الكريم بقوله: بل هو الرأي والحرب والمكيدة، قال:فإن هذا ليس بمنزل!...ثم أعطى رأيه بخطة بديلة... فقال الرسول صلى الله عليه وسلم :يا حباب أشرت بالرأي !، وبالفعل تم تنفيذ ما أشار به الحباب بن المنذر رضي الله عنه. و هذا دليل على انه على الرغم من كونه صلى الله عليه و

سلم أفضل خلق الله وأبلغهم حكمة، و مع ذلك فقد شاور و إستمع الى رأي غيره بإنصات وأخذ به فعلاً...فما بالنا نحن اليوم لا نتقبل أي رأي مخالف، ولا نعطيه حقه من التقدير أصلاً ؟

"سيرة نبينا عطرة"،هكذا بدأت حديثها ليندا الطالبة في الثاني ثانوي، وهي السيرة التي طالما أخذنا منها أشياء أغنت فينا الحياة. و خاصة عندما نقتبس منها مواقف تهذّب النفس وتنعش الروح، ومن أكثر المواقف في سيرته صلى الله عليه وسلم، التي أثرت بي هي ولادته يتيماً بلا أب، فهو قد تربى يتيماًعند حليمة السعدية التي كانت غريبة عنه، ثم موت أمه وبعدها وفاة جده، واضطراره لرعي الغنم وهو صغير، وعلى الرغم من كل هذه القسوة التي صادفها في طفولته، فقد بقي صامداً وثابتاً، وعاش إنساناعظيما.

وعندما وجهنا سؤالنا للطالب عبادة في السنة الجامعية الأولى شريعة في أزهر البقاع دمعت عيناه وهو يحدثنا عن الموقف الذي لقي فيه رسولنا من الألم والشدّة مثل الكثيرمن المواقف التي لقي فيها الأذى من المشركين الذين حاربوا دعوته. و ذلك حينما خرج الرسول الكريم الى الطائف رجاء أن يأوه وينصروه على قومه الظالمين، ويمنعوه منهم ، حيث دعا أهل الطائف الى عبادة الله عزّ و جلّ، فلم يستجيبوا له، و لم يكتفوا بذلك، بل آذوه أشد الأذى ونالوا منه ما لم ينله من مشركي مكة، و لم يجد بينهم من يأويه ولم يعرف منهم من ينصره، وكان معه زيد بن حارثة مولاه، فأقام بينهم عشرة أيام لا يدع أحدا من أشرافهم الإّ ذهب اليه وكلمه فقالوا له :أخرج من بلدنا وأغروا به سفهاءهم فوقفوا له سمّاطين(على جانبي الطريق) وجعلوا يرمونه بالحجارة حتى دميت قدماه، وزيد بن حارثة يقيه بنفسه حتى أصابه شجاج في رأسه، فانصرف راجعا من الطائف الى مكه محزونا، وفي مرجعه ذلك دعا الدعاء المشهور بدعاء الطائف.

(اللَّهمَّ إليكَ أشكو ضَعفَ قوّتي، وقلَّةَ حيلَتي، وهَواني علَى النَّاسِ، أنتَ أرحمُ الرَّاحمينَ، أنتَ ربُّ المستضعفينَ، وأنتَ ربِّي، إلى من تَكِلُني؟ إلى بعيدٍ يتجَهَّمُني أَمْ إلى عدُوٍّ ملَّكتَهُ أمري، إن لم يَكُن بِكَ غضبٌ عليَّ فلا أبالي، غيرَ أنَّ عافيتَكَ هيَ أوسعُ لي، أعوذُ بنورِ وجهِكَ الَّذي أشرَقت لهُ الظُّلماتُ، وصلُحَ علَيهِ أمرُ الدُّنيا والآخرةِ، أن يحلَّ عليَّ غضبُكَ، أو أن ينزلَ بي سخطُكَ، لَكَ العُتبى حتَّى تَرضى، ولا حولَ ولا قوّةَ إلَّا بِكَ)

فأرسل اليه الله سبحانه وتعالى ملك الجبال يستأمره أن يطبق الأخشبين على أهل مكه وهما جبلاها اللذان هي بينهما ،فقال لا بل أستأني بهم لعل الله يخرج من أصلابهم من يعبده ولا يشرك به شيئا.اللهم ارزقنا رفقة الحبيب في الجنة.

وبعد ذلك تحدثنا الى الآنسة كرمة حسين معلمة الحديث في الصف السابع والثامن بأزهر البقاع، و قمنا بتوجيه سؤالين لها عن أهم الخبرات التي قد يتعلمها شبابنا من مواقف واجهت الرسول صلى الله عليه وسلم؟ وما هو الموقف الذي أثر بها كثيرا ؟ فكان جوابها:
الحمد لله والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. أشكر اختياركم لي ، و من دواعي سروري التحدث في هذا الموضوع ، و جوابا عن أسئلتكم أقول: المواقف كثيرة وعظيمة تلك التي تجعل من رسولنا الكريم قدوة لنا ولشبابنا، و من الضروري إعتمادها أسلوبا لحياتنا ، و على الرغم من مر السنين والأعوام، تظل

سيرة النبي صلى الله عليه وسلم نبراسا وهاديا، يضيء لنا الطريق في التربية والإصلاح، والعزة والتمكين... ففي الظروف الصعبة عموما، وظروفنا الحالية خصوصا، وحيث تسود الفرقة بين المسلمين، فاننا نحتاج ان نستذكر مواقف رسولنا الكريم لنتعلم حكمته، و ما قام به لتخطي المصاعب التي واجهته، و منها العمل بالشورى، فقد كان يتشاور مع أصحابه على الرغم من كونه النبي وسيد الخلق، و قد اعتمد الشورى لما فيها من تطييب للنفوس، و كونها تشعر الآخرين بأنهم شركاء في اتخاذ القرار ، مما يدفعهم الى التمسك به و العمل بموجبه. كما أن تقديم الغير وإيثارهم صفة كريمة جداً نجدها في كثير من مواقف الرسول صلى الله عليه وسلم و قد إشتهر عنه قوله:"لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه ".رواه البخاري ومسلم

إذاً المسلم الحق هو من يتميز من الإيثار ويبتعد عن كل أنانية. كما أن الرسول الكريم قد حثنا وأمرنا بحسن الاخلاق عند التعامل مع الوالدين والزوجة، والأقرباء والجيران، والفقراء والأيتام، و غيرهم كالعمال والخدم والأصدقاء ، بل ومع الناس جميعا. فعن أبي ذر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:"اتق الله حيثما كنت ،وأتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن ."رواه الترمذي وحسنه الألباني، فمعاملة الناس بالأخلاق الحسنة بالقول والفعل.

أما الموقف الذي أثر بيّ كثيراً، وهوأحب المواقف الى قلبي هو موقف الرسول الكريم من الصحابي سعد بن معاذ في غزوة بدر، عندما خرج المسلمون الى بدر لملاقاة المشركين واستشارة النبي صلى الله عليه وسلم الأنصار، فقال سعد:"آمنا بك وصدقناك وشهدنا أن ما جئت به هو الحق، وأعطيناك مواثيقنا على السمع والطاعة، فامضِ يا رسول الله لما أردت فنحن معك ما تخلف منا رجل واحد، وما نكره أن تلقى بنا عدوا غداً إنا لصبرٌ عند الحرب، وصدقٌ عند اللقاء، لعل الله يريك فينا ما تقر به عينك فسر بنا على بركة الله". وهذا هو سبيل المسلمين للنصر بإتحادنا على كلمة الله الحق وإتباع سنة رسوله صلى الله عليه وسلم

وفي الختام لايسعني الإ أن أشكر كل من ساهم بإبداء رأيه في هذه التحقيق. و أشير الى إن **المتأمل في حياة وسيرة النبي صلى الله عليه وسلم ليعجب من فقهه في معاملة النفوس، وحكمته في تربيتها وإصلاح أخطائها، وعلاج ما بها من خلل،** يظهر ذلك في مواقفه التربوية الكثيرة والجديرة بالوقوف عندها و تأملها والاستفادة منها، و نحن كمسلمين يجب علينا أن نكون قرة عين لرسول الله صلى الله عليه وسلم، بأن يتذكر كل منا مواقف الرسول الكريم و يلزم نفسه أن يعمل بها، و علينا ان نسعى الى التميزمن حسن الأخلاق، فالرسول صلى الله عليه وسلم قال:"بعثت لأتمم مكارم الأخلاق"أخرجه أحمد والحاكم والبيهقي عن حديث ابي هريرة، لذا يتوجب علينا المحافظة على كل الفضائل والمكارم الإسلامية، و ننقلها الى المجتمعات الإنسانية لتتعرف عليها كي تتخلص من رواسب الماضي و انحرافاته. و أخيرا و ليس آخرا نقول : على من يؤمن بأنه مسلم أن يكون ملتزما بأداء شعائر الإسلام و فرائضه، و ان يجعل سيرة الرسول الكريم نصب عينيه، و يعمل بها دائما، فالرسول محمد صلى الله عليه و سلم هو المثل الاعلى و هو الهادي لنا جميعا.

الوجوه والنظائر في القرآن

قال مقاتل البلخي: الهدى على سبعة عشر وجها:

الوجه الأول: الهدى يعني البيان، و ذلك قوله عزّ و جلّ في سورة البقرة:(أولئك على هدى من ربهم)/5؛ و قوله تعالى في سورة الأعراف:(أولم يهد للذين يرثون الأرض)/100؛ و في طه:(أفلم يهد لهم)/128؛ يعني: أو لم يبين لهم؛ و في لقمان:(أولئك على هدى من ربهم)/5، يعني: بيانا من ربهم؛ و في حم السجدة:(و أما ثمود فهديناهم)/17، يعني: بَيّنا لهم؛ و في سورة الإنسان :(هل أتى على الإنسان حين من الدهر)،(إنا هديناه السبيل)/3.

الوجه الثاني: يعني دين الإسلام. قوله تعالى في الحج:(هدى مستقيم)/67، يعني: دينا مستقيما، و هو الإسلام؛ و مثله في البقرة:(إن هدى الله هو الهدى)/120، يعني دين الله الإسلام هو الدين؛ و مثل قوله في آل عمران:(قل إن الهدى هدى الله)/73، يعني: إن دين الله الإسلام هو الدين؛ و في الأنعام:(قل إن هدى الله هو الهدى)/71، يعني: قل إن دين الله الإسلام هو الدين، و نحوه كثير.

الوجه الثالث: الإيمان؛ فذلك قوله تعالى في سورة الكهف:(و زدناهم هدى)/13،

أي: إيمانا؛ و في سورة مريم:(و يزيد الله الذين اهتدوا هدى)/76، يعني: يزيدهم إيمانا؛ و في سبأ:(أنحن صددناكم عن الهدى)/32، يعني: الإيمان؛ و في الزخرف:(ادع لنا ربك بما عهد عندك إننا لمهتدون)/49، يعني: لمؤمنون، و نحوه كثير.

الوجه الرابع: هدى: يعني داعيا، قوله في الرعد:(إنما أنت منذر)، يعني النبي صلى الله عليه و سلم (و لكل قوم هاد)/7، يعني: داعيا يدعوهم، و مثله في سورة الاسراء عن بني إسرائيل:(إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم)/9، يعني: يدعو، و قوله في الصافات:(فاهدوهم إلى صراط الجحيم)/23، يعني: فادعوهم، و مثل قوله عزّ و جلّ في سورة الشورى:حم

عسق:(و إنك لتهدي إلى صراط مستقيم)/52، يعني: تدعو، و قوله في الأحقاف:(مصدقاً لما بين يديه يهدي إلى الحق)/30، يعني: يدعو، و نحوه كثير.

الوجه الخامس: هدى: يعني معرفة، قوله في النحل:(و علامات و بالنجم هم يهتدون)/16، يعني: يعرفون الطريق، و في طه:(لمن تاب و ءامن و عمل صالحاً ثم اهتدى)/82، يعني: عرف، و نظيرها في الأنبياء:(فجاجاً سبلاً لعلهم يهتدون)/31، يعني: يعرفون الطريق، و قوله في النمل:(ننظر أتهتدي أم تكون من الذين لا يهتدون)/41، يعني: أتعرف السرير أم تكون من الذين لا يعرفون؛ و في الزخرف:(سبلاً لعلكم تهتدون)/10، يعني: لعلكم تعرفون الطرق، و نحوه كثير.

الوجه السادس: هدى: يعني رسلاً و كتبا؛ قوله تعالى في البقرة:(فإما يأتينكم مني هدى)/38، يعني: رسلاً و كتبا، و نظيرها في طه:(فإما يأتينكم مني هدى)/123، يعني: رسلاً و كتبا.
الوجه السابع: يعني الرشاد؛ قوله تعالى في أم الكتاب:(اهدنا الصراط المستقيم)/6، يعني: أرشدنا؛ و كقوله في طه:(أو أجد على النار هدى)/10، يعني: من يرشدني الطريق؛ و قوله تعالى في القصص:(عسى ربي أن يهديني سواء السبيل)/22؛ يعني: يرشدني، و في ص:(و اهدنا إلى سواء الصراط)/22، يعني: أرشدنا، و نحوه كثير.

الوجه الثامن: هدىك يعني أمر محمد صلى الله عليه و سلم، فذلك في البقرة (إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات و الهدى)/159، يعني: أمر محمد صلى الله عليه و سلم أنه نبي مرسل، و في سورة محمد صلى الله عليه و سلم:(إن الذين ارتدوا على أدبارهم من بعد ما تبين لهم الهدى)/25، يعني: أمر محمد صلى الله عليه و سلم أنه نبي مرسل، و منها:(و شاقوا الرسول من بعد ما تبين لهم الهدى)/32،يعني: أمر محمد صلى الله عليه وسلم أنه نبي مرسل.

الوجه التاسع: هدى: يعني القرآن؛ قوله في سورة الإسراء عن بني إسرائيل:(و ما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى)/94، يعني: القرآن، فيه بيان كل شيء، و في الكهف مثله/55، و في النجم:(و لقد جاءهم من ربهم الهدى)/23، يعني القرآن.

الوجه العاشر: هدى: يعني التوراة، فذلك قوله في بني إسرائيل:(و ءاتينا موسى الكتاب و جعلناه هدى) الإسراء/2، يعني :التوراة، وفي السجدة:(و لقد ءاتينا موسى الكتاب فلا تكن في مرية من لقائه وجعلناه هدى)/23، و في حم المؤمن:(و

لقد ءاتينا موسى الكتاب) غافر/53، يعني التوراة.

الوجه الحادي عشر: هدى: يعني الاسترجاع، فذلك قوله تعالى في البقرة:(أولئك عليهم صلوات من ربهم و رحمة و أولئك هم المهتدون)/157، يعني: الاسترجاع. نظيرها في التغابن:(و من يؤمن بالله)، يعني في المصيبة يعلم أنها من الله تعالى، (يهد قلبه)/11: للاسترجاع.

الوجه الثاني عشر: الهدى: يعني الحجة، فذلك قوله في البقرة:(ألم تر إلى الذي حاج إبراهيم في ربه) إلى قوله:(و الله لا يهدي القوم الظالمين)/ 258، يعني: الحجة، نظيرها في براءة:(و الله لا يهدى القوم الظالمين)/19، يعني: لا يهديم إلى الحجة، و قال في الجمعة:(و الله لا يهدي)/5، يعني: من الضلالة إلى دينه، و نحو ذلك كثير.

الوجه الثالث عشر: الهدى يعني التوحيد؛ قوله عزّ و جلّ في براءة:(هو الذي أرسل رسوله بالهدى و دين الحق)/33، يعني التوحيد، و الإسلام؛ و قوله في القصص:(إن نتبع الهدى معك)/57، يعني التوحيد، و كقوله في الفتح:(هو الذي أرسل رسوله بالهدى و دين الحق)/9، يعني: التوحيد.

الوجه الرابع عشر: هدى: يعني سنة، فذلك قوله عزّ و جلّ في الأنعام، للنبي صلى الله عليه و سلم: (أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده)/90، يعني: الأنبياء، بسنتهم في التوحيد اقتده، و قوله في سورة الزخرف:(إنا وجدنا ءاباءنا على أمة و إنا على ءاثارهم مهتدون)/22، يعني: مستنون بستنهم في الكفر.

الوجه الخامس عشر: لا يهدي: لا يصلح، فذلك قوله في يوسف، عليه السلام:(و أن الله لا يهدي كيد الخائنين)/52، يعني: لا يصلح عمل الزناة.

الوجه السادس عشر: الهدى: يعني الإلهام، فذلك قوله في طه:(الذي أعطى كل شيء): يعني من الدواب، (خلقه): يعني صورته التي تصلح له، (ثم هدى)، يعني: ثم ألهمه كيف يأتي معيشته و مرعاه، و كقوله في سورة الأعلى (سبح اسم ربك الأعلى): (و الذي قدر)، يعني: خلق، (فهدى) الأعلى/3، يعني: فألهم كيف يأتيها و تأتيه.

الوجه السابع عشر: هدنا: يعني: تبنا، فذلك قوله في الأعراف: (إنا هدنا إليك)/156، يعني: إنا تبنا إليك.

تـوازن طريـق الاسـتقامة

د. طارق رمضان - مفكر سويسري من أصل مصري

باستيعابنا لمعنى هذا التوازن، يمكن للإنسان أن يسلك طريق الاستقامة على وفق التعاليم الإلهية من دون أن ينسى أنه ينتمي إلى أمة، يجب أن يتحرك من أجل نهضتها ورفعتها. إن أركان الإسلام الخمسة تلخص لنا السلوك الروحي الذي يجب أن يسلكه كل مسلم من دون تجاهل البعد الجماعي. فالعبادة لها عدة أبعاد، منها أولا، العمل على تزكية النفس بالصلاة، التي يجب أن نقيمها خمس مرات في اليوم، ليتحقق ذكر الله تعالى ولنسمو بأرواحنا. و يمكن أن نقيم هذه الصلاة بشكل فردي، فهي تمنح لنا التوجه إلى الله تعالى والإقبال عليه بكل صدق، لكن من المستحب أن نصلي جماعة، فقد جاء في حديث نبوي أن : " صلاة الجماعة تفضل على صلاة الرجل وحده بسبع وعشرين درجة".

إن سلوك الفرد وسط الجماعة يعتبر حافزا للمساهمة في نهضة الأمة، لأن الجماعة تجعل الفرد أكثر قوة وثباتا، كما أن الفرد يغني الجماعة بدوره. على الرغم من أن الفرد المسلم يمكن أن يؤدي الصلاة بمفرده، لكنه في حاجة إلى هذه الجماعة لتكتمل عبادته في جو من الانسجام الجماعي، والأمر نفسه ينطبق على الصوم، فهو عبادة تروم تزكية القلب، وكذلك تطهير الجسد من السموم لمدة شهر كل سنة، كما هناك صيام التطوع والنافلة. و هذه العبادة يقوم بها كل فرد في إطار جماعي، و الأمر نفسه ينطبق على الحج، فكل فرد مدعو إلى تحمل مشقة هذه العبادة، لكنها تقام مع الملايين من المسلمين الذين يحجون إلى بيت الله الحرام، والزكاة هي كذلك بمثابة تزكية للمال) وتؤخذ من أموال الأغنياء بمقدار (2,5%)، وهدفها التضامن مع فقراء المسلمين.

إذن العبادات لها عدة أبعاد، منها تزكية المال عن طريق الزكاة، وتزكية القلب عن طريق الصلاة، وتطهير الجسد من السموم عن طريق الصيام.
وهكذا نجد التزكية في جميع العبادات، وهي السبيل الوحيد لمصالحة الإنسان مع فطرته وتحقيق الغاية التي من أجلها خلق الإنسان، وهي عبادة الواحد الأحد التي تحرر الإنسان من عبودية كل ما سواه.

التغافل من أخلاق الكرام

د.إسماعيل علي محمد - رئيس قسم الدعوة والثقافة الإسلامية في جامعة الأزهر

خلق الله الناس، وجعلهم مفطورين على الاجتماع والمخالطة، فكان الإنسان . كما يقول علماء الاجتماع . مدنياً بطبعه.

وقد اقتضت حكمة الخالق سبحانه أنْ يحتاج الناس إلى بعضهم في تحقيق أسباب العيش في هذه الدنيا، فلا غنى للإنسان عن معاشرة بني جنسه.

وتبدأ دائرة المعايشة بين الناس بالأسرة، ثم تتسع الدوائر لتشمل محيط الجوار والعمل والصداقة وغيرها.

وهذه المعاشرة تكون بمثابة المرآة التي تعكس طباعَ البشَر وأخلاقَهم في تعاملهم فيما بينهم.

وحيث إنّ الناس ليسوا ملائكة؛ فسوف يقع بالضرورة من التصرفات والأخطاء ما قد يُعكّر صفو العلاقات بينهم في كل دوائر المعايشة، مِن أسرة وصداقة وجوار ونحوها، بل قد يؤدِّي إلى التشاحن والتباغض والتقاطع.

والواقع أنّ الحياةَ لا تستقيم ولا تهنأ بكثرة اللوم، وتكرار المؤاخذة على الخطأ.

لذلك كان لا غنى للناس عنْ خُلُق رائع، ومبدأ حكيم، أجمعَ العقلاءُ على ضرورته في التعامل بين الناس و بعضهم الآخر، وخاصة في محيط الأسرة والصداقة وذوي القربى، كي تسير الحياةُ في هدوء ووئام؛ ألا وهو «التغافل».

والتغافل يُقصَد به: غضُّ الطرف عن بعض أخطاء الآخرين، وتجاهلُ ذِكرِ بعضِ المساوئ، على سبيل الترفُّق بالمُخطئ، وعدِم التسبُّب في مزيدٍ مِن إحراجِه وتخجيلِه، كي لا تضعُفَ ثقتُه بنفسه، أو يتسللَ إليه شعورٌ بالإحباط، وتجنبا لإصابة العلاقات بين الناس بالتصدّع أو الوهْن.

وهذا منهجٌ تربويّ ودعويّ واجتماعيّ له أثرٌ طيب بالنفْس، ويُحتاج إليه في كثير من الأحوال والمناسبات، كما أنّه مِن مكارِمِ الأخلاق.

قال سفيان: ما زال التغافل من شيم الكرام.

وقال أبو تمام:

ليـس الغبيّ بسيّد في قومـه
لكـنّ سيّد قومِـه المتغابي

وقد كان التغافُلُ عنْ بعضِ الزلات، وترْكُ الاستقصاءِ عند العتاب والتقويمِ مِن هَدْي النبيّ في التربية والإصلاح. فقد حدَث أنّه أَسَرَّ إلى زوجته «حفصة» . رضي الله عنها . خبرا واستكتمها إياه، لكنّها أخبرت بذلك السرّ «عائشةَ» . رضي الله عنها . وأفْشتْه لها، وأَطْلع الله نبيَّه على إفشائها للسرّ، فما كان من النبيّ إلا أنْ أعلمَها ببعض الحديث الذي أَفْشتْه معاتباً لها، وأمْسَك عن إخبارها ببقية ما حدَّثَت به «عائشة».

قال الله تعالى: {وإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْواجِهِ حَدِيثا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وأَظْهَرَهُ اللهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ } [سورة التحريم: 3].

قال المفسِّرون: ولم يخبرها النبيّ بجميع ما حصل منها تكرُّما منه أن يستقصيَ في العتاب، وحياءً وحُسنَ عِشرة؛ فإنّ مِن عادة الفضلاء التغافلَ عن الزلات، والتقصيرَ في اللوم والعتاب، قال الحسن: ما استقصى كريمٌ قط.

وقال بشارُ بن بُرد:

إذَا كُنْتَ فِي كُلِّ الأُمُورِ مُعَاتِباً
خَلِيلَكَ لَمْ تَلْقَ الَّذي لاَ تُعَـاتِبُهُ
فَعِشْ واحِدا أَوْ صِلْ أخاكَ فإنّـهُ
مُقَـارِفُ ذَنْبٍ مَـرّةً ومُجَانِبهْ
إذَا أَنْتَ لَمْ تَشْرَبْ مِرَاراً علَى القَذَى
ظَمِئْتَ وأَيُّ النَّاسِ تَصْفُو مَشارِبُهْ

يعني: إذا كنتَ تلوم صديقَك في كلِّ تصرفاته، فاعلم بأنك لا يمكن أن تجد شخصا معصوما من التقصير، بحيث لا تكون لك عليه أيةُ ملاحظة تدعو للوم والعتاب.

واعلم بأنّ كلّ الناس عرضة للتقصير، فإنْ تمسّكْتَ بعتاب الأصحاب على الدوام فعِش وحيدا بدون صاحب، أو تَحَلَّ بالسماحة معهم، ووطِّن نفسَك على أنهم بشر يخطئون حينا، ويجتنبون الخطأ حينا آخر.

كما أنّ عليك أن توطِّن نفسك على تقبل وتحمّل شربِ الماء إذا كنت مضطرا للشرب ولا يوجد إلا ماء فيه بعض الشوائب، وإلا فيلحقك العطش، فكل أحدٍ عُرضةٌ لأن يُبتلَى بما يعكِّر صفو الماء الذي يشربه، بل من الصعب أن يضمن الناس صفاءَ ما يشربون أبد الدهر.

وما أجملَ أنْ يصاحِبَ «التغافلَ» عفوٌ وتسامحٌ، فتزدادَ الحياةُ هناءةً وسعادةً، وأهمُّ مِن هذا ينال الناسُ رضا الله.

وصدق الله القائل: {وسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاواتُ والْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ والضَّرَّاءِ والْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ والْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ واللهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ} [سورة آل عمران: 133. 134].

الرعـد .. ظـاهرة كـونيـة

كرمة حسـين - ماجستير في الشريعة

قالى تعالى:(ويُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ والْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ ويُرْسِلُ الصَّواعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَاءُ وهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وهُوشَدِيدُالْمِحَالِ)(13:الرعد). هكذا وصف القرآن الكريم الرعد ، و هو ظاهرة كونية من الكثير من الظواهر التي خلقها الله سبحانه و تعالى، و قال المفسرون الاسلاميون ان الرعد يسبح بحمد ربه، وطريقة تسبيحه لا يعلمها إلا الله، والتسبيح هو تنزيه الله وتقديسه، وهو ضرب من ضروب الغيب لا يعلمه الإنسان فهو محجوب عنه. وقيل ان الرعد فيه كثير من الرحمة وفيه العذاب والعقاب إذا تحول السحاب إلى أمطار غزيرة و سيول جارفة . و هناك أقوال اخرى لبعض علماء التفسير عن هذه الظاهرة الكونية منها :ما قاله ابن عاشور:"الرعد آية من آيات التخويف والانذار للعباد"(1). أما سيد قطب فقد قال :"الرعد أثر من آثار الناموس الكوني الذي صنعه الله ، فهو حمد وتسبيح بالقدرة الإلهية التي صاغت هذا النظام.(2) و ذكر القرطبي:"الرعد ملك يسوق السحاب، وإن بخار الماء في نقرة ابهامه، وأنه موكل بالسحاب يصرفه حيث يؤمر وإنه يسبح الله، فإذا سبح الرعد لم يبق ملك في السماء إلاّ ورفع صوته بالتسبيح فعندها ينزل المطر.(3)، و هناك تفسير علمي لهذه الظاهرة الكونية هو :(الرعد) رياح تحتك ويعارض بعضها بعضا ،وتصادم وجه الأرض وما عليها من الغيوم والسحب فتحتك ببعضها وبالهواء، و نتيجة من ذلك تتحول الحرارة إلى بخار وإلى ماء، وعندها تحدث تفاعلات كيميائية بين تحليل وتركيب فتسبب حدوث عملية البرق والرعد. و عند تقارب سحابتين مختلفتين، تحدث عملية البرق والرعد، ويسمع صوت قوي شديد هو الرعد .(4) اذن الرعد يحدث بعد تصادم دقائق الهواء الذي تنتجه كهربائية البرق أولا، ثم يتبع ذلك الرعد و هو صوت شديد القوة ، فسبحان الله الخالق.

الهوامش :

1- ابن عاشور"التحرير والتنوير".7/105.

2- سيد قطب"في ظلال القرآن"4/2051

3-"القرطبي"الجامع لأحكام القرآن".9/194.

4- الجوهري"في تفسير القرآن الكريم"4/144

من روائع الشعر - ذكرى المولد

الشيخ نجيب شاهين - شاعر لبناني

هلَّ الرَّبيعُ وللرَّبيعِ نُمجِّدُ ... والشِّعرُ في الذِّكرى يَلَذُّ ويُحمَدُ

في كلِّ عامٍ للرَّبيعِ رِسالةٌ ... عربيةٌ ومواقفٌ تتجدَّدُ

وربيعُ هذا العامِ قامتْ ثورةٌ ... بيضاءَ تحريرُ المُواطنِ تَنشُدُ

نادتْ بإسقاطِ الطُّغاةِ ولم تزلْ ... بالحقِ تُبرِقُ بالتَّحرُّرِ تُرعِدُ

للياسمينَ التُّونسيُّ تحيَّةً ... عَربيةً بِعَبيرِها نَتَزوَّدُ

مَدَّتْ إلى أرضِ الكِنَانةِ راحةً ... بَيضاءَ تَنمو للخَلاصِ وتسندُ

أهدتْ لِبَنغازي الأريجَ فَضَوَّعتْ ... صَنعاءُ منها كلّ نفسٍ تسعدُ

يا شرقَ أبطالَ المَعاركِ والفِدَا ... النَّصرُ من رَحمِ الشَّدائدِ يُولَدُ

نُورٌ أضاءَ المَشرقَينِ بأحمد ... والكلُّ في طلبِ الهدايةِ يَحفِدُ

بالأمسِ كنّا والضَّياعُ يلفُّنا ... ونظنُّ أنَّ الجاهليةَ سُؤدُدُ

كنَّا قبائلَ والخِيامُ بُيوتُنا ... وطَعامُنا تمرُ الحِجازِ الجيِّدُ

ونسيرُ كالأنعامِ نلتمسُ الهُدى ... نَغزُو الضَّعيفَ وللقويِّ نُؤيدُ

ونُقدِّمُ القُربانَ من أموالنا ... لِحجَارةٍ مَنحوتةٍ نَتودَّدُ

وعِبادةُ الأصنامِ كانت مَذهباً ... ندعوا لها ولها نَحجُّ ونَقصِدُ

ونَقطعُ الأرحامَ فيما بيننا ... لا دينَ يَردعُنا ولا من يُرشِدُ

هذي عِبادتُنا وهذا دِينُنا ... سَلباً ونَهباً والطُّفولةُ نُوئِدُ
والأرضُ حُبلى بالمَرَارةِ والأَسى ... والرَّملُ في صَحرائِنا يَتوقَّدُ
أرضٌ بها شَجرُ اللُّبانِ ورَملُها ... نارٌ تَلظَّى والحياةُ تُهدِّدُ
لوجَادَها غَيثُ السَّماءِ لأشبعتْ ... كلَّ الجياعِ وشَعبُها مُستعبدُ
فيها الفَقيرُ من الرِّجالِ فَريسةً ... والسَّبيُ دِينٌ والحرامُ تَعبُّدُ
كنَّا إذا ما قامَ فينا شَاعرٌ ... نَظَمَ القَريضَ له نَخِرُّ ونَسجُدُ
نُقرِي الضُّيوفَ وهذه أخلاقُنا ... نَحمي النَّزيلَ ونارُنا لا تُخمَدُ
فَتَكاثرتْ أمراضُنا وتَصدَّعتْ ... تلكَ المكارمُ والتُّقى لا يُوجدُ
والكلُّ يَنتظرُ الخلاصَ من الأذى ... والنُّورُ من ليلِ الضَّلالةِ يُولَدُ
من بعدِ هذا والسَّماءُ تَكرّمتْ ... بهديَّةٍ فيها النِّداءُ الأوحدُ
هلَّ الرَّبيعُ وأشرقتْ أنوارُهُ ... ولِدَ النَّبيُّ الهاشميُّ محمَّدُ
من غارِ مكَّةَ أجَّ نورُ محمَّدٍ ... إيّاكَ ربِّي نَستعينُ ونَعبدُ

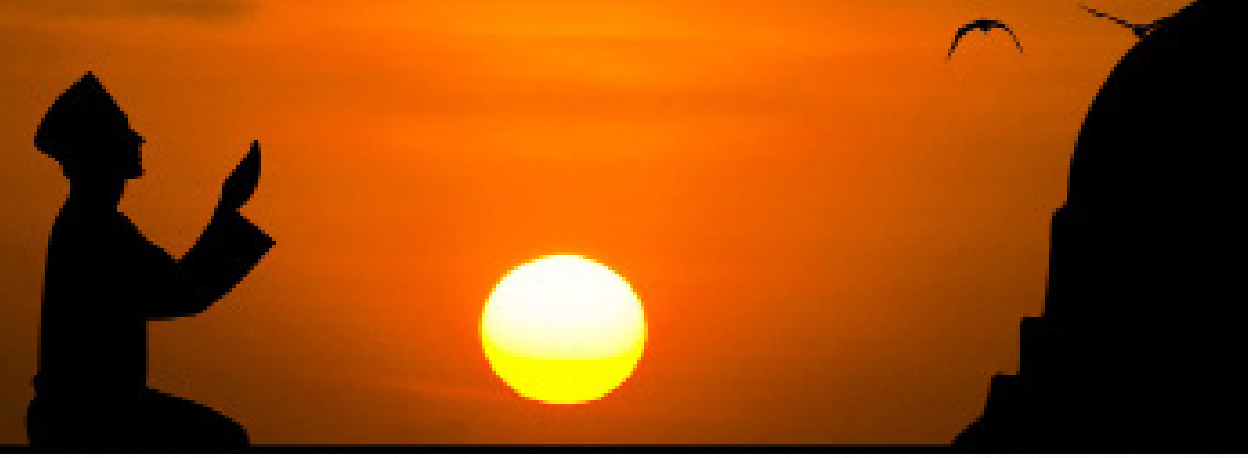

لك الحمد يا الله

د. أميل منذر - أستاذ في الجامعة اللبنانية

نهض "نعيم" من نومه، وجلس في سريره لبعض الوقت يفكّر مهموما حزينا. ثم انزلق عن السرير ضعيف الهمّة، وخرج إلى شرفة بيته الضيّقة ينقّل ناظريه بين أسطح القرميد والجنائن الغنّاء المحيطة بالمنازل الجميلة من حوله. عاتبَ ربَّه الذي أعطى الناس ولم يعطِه وهو الرجل المؤمن الصالح الذي ما أتى يوما عملاً قبيحا، وما دخل قرش جيبه إلا مغسولاً بعرق التعب والنصَب.

لم يمضِ طويل وقت حتى خرجت إليه زوجته بركوة القهوة وقليل من الكعك، وأيضاً بلائحة طويلة من الحاجات: "هلاّ ذهبتَ إلى السوق وابتعتَ لنا هذه".

- كلّها!! قال وبلع ريقه.

- البيت فارغ.

الأولاد ذهبوا إلى المدرسة -يا ولدي- "بعرائس" زيتون، قالت واغرورقت عيناها بالدموع.

- لستُ أملك ثمنها كلّها يا "سُمَيّة". بقي ستّة أيّام بعد لأقبض مرتّبي.

عندئذٍ أخذت سميّة الورقة، وشطبت منها ما يمكن تأجيل شرائه، ثم ناولتها زوجها: "هذه فقط الآن".

دخل نعيم غرفته، وفتح الخزانة يريد تبديل ملابسه. أخذ آخر قميص اشتراه بتاريخ لم يعد يذكره، وارتداه من غير أن يطيل النظر إلى لونه الذي باخ وإلى الياقة التي بدأ يعتريها الاهتراء. ثم ارتدى سروالاً حاله ليست بأفضل من حال القميص، ودسّ قدميه في حذاءين لم يعد يعرف كم مرّة صبغهما وغيّر الإسكافيّ نعلَيهما. وخرج لا يفكّر في شيء لقناعته بأن طول التفكير مجلبة للهمّ، والهمّ لا يغيّر من حال إلى حال.

وبينما كان يسير الهوينى في ذلك الشارع المزدحم بالناس الساعين كلٌّ إلى رزقه وحاجته، مرَّ بحانوت رصف صاحبه عند مدخله عدّة صناديق بلاستيكية وضع فيها من الخضار والفاكهة أصنافاً وألواناً. وإذ وقف نعيم يستعرض أسعارها المرتفعة بحسرة، قَدِمَ رجل ضئيل الجسم، رثّ الثياب، وعلى

محيّاه تلوح كلّ أمارات العوز. وبمروره من هناك صدمت قدمُه إحدى الصناديق؛ فانهار ما عليها من خضار، وتبعثر في كلّ اتّجاه؛ فما كان من صاحب الحانوت إلا أن نهره من الداخل: "هيه. ماذا فعلت؟!". ثم خرج غاضبا: "أأعمى أنت!".

- في الحقيقة إني أبصر بعين واحدة.

- افتحْها جيّدا إذن... ساعدني في جمع ما تبعثر، هيّا.

- حاضر، قال وانحنى يلتقط الخضار بيده اليسرى.

- حرّكِ اليمنى أيضا. ليس لدينا النهار كلّه.

- لا أستطيع تحريكها يا سيّدي. إنها يابسة كعود حطب.

عندئذٍ انحنى نعيم أيضا يساعدهما. ولمّا انتهوا وهمّ الرجل ذو العين الواحدة بالانصراف، استمهله نعيم، ودعاه إلى احتساء فنجان قهوة في مقهى قريب بعدما رقَّ له ورأى في حاله عزاءا لنفسه، فعلى الأقلّ هو ما زال يحتفظ بعينيه الاثنتين، ويستطيع تحريك يديه معاً. وكان أن قبِلَ الرجل الدعوة شاكرا ممتنّا.

وفي المقهى أخذ نعيم رشفة من فنجانه، وسأل صاحبَه عمّا به؛ فأجاب: "في آخر جولة قتال في المدينة سقطت قذيفة على مقربة مني؛ فلم أستعد وعيي إلا في المستشفى الحكوميّ. لكن، كما ترى، فقد فقدتُ عيني وشُلّتْ يدي". قال، ولمعت الدمعة في عينه السليمة.

- اشكرْ ربّك يا أخي...

- ناجي. إسمي ناجي.

- اشكر ربّك يا أخي ناجي لأنك ما زلت على قيد الحياة.

- وأيّ حياة هي التي أحياها!! لقد استغنى ربّ عملي عني، وصرفني لأنني لم أعد أستطيع أن أخدمه كما كنت أفعل قبل إصابتي. وها أنا أدور من مكان إلى مكان باحثاً عن عمل يؤمّن لقمة أولادي ولا أجد.

- ألله كريم يا أخي، ألله كريم. ما من شِدّة إلا يعقبها فرج. قال الشاعر:

ضاقتْ ولمّا استحكمتْ حلقاتُها
فُرجَتْ وكنتُ أظنُّها لا تُفرَجُ.

- صدّقْني إن قلت لك إنني لم أعد أريد الحياة. يا ليتني متُّ آنذاك مع الذين ماتوا.

مضت لحظات من الصمت لأنّ نعيماً لم يجد ما يقوله بعد، ولا صاحبه أحبّ أن يقول أكثر. وقبل أن ينهيا قهوتيهما، شاهدا رجلاً يعبر الباب إلى الداخل، لكنه كان يحجب عينيه بنظّارتين سوداوين، وينقّل قدميه بخطوات قصيرة متردّدة مستعيناً بشابّ يمسك بذراعه.

جلس الاثنان في ركن من أركان المقهى قبل أن يسأل الشابُّ الرجلَ: ماذا تريد أن تتناول يا أبي؟

- سَلْهمْ إن كانوا يقدّمون السمَّ ههنا.

- لماذا تقول مثل هذا الكلام يا أبتِ؟!!

- لأنني لم أعد أريد الحياة. لقد سئمتُها... كرهتها. كيف لا، وأنا لا أستطيع أن أبصر!! لا أستطيع أن أتبيّنَ دربي!! نهاري مثل ليلي. تشرق الشمس ولا أراها، وتتفتّح الأزهار في حقول الربيع ولا أبصرها. وأكثر ما يحزّ في نفسي هو أنني لا أقدر أن أراك يا ولدي. هكذا قال واختنق صوته؛ فأردف كمَن يحدّث نفسه: رحمَ الله الذي قال:

تعبٌ كلُّها الحياة فما أعـ ـجبَ إلا من راغبٍ في ازديادِ.

كان هذا الحوار يتناهى إلى مسامع نعيم وناجي. فلمّا توقّف، قال ناجي: أتعرف يا صديقي؟

- ماذا؟

- قبل اليوم عاتبتُ ربّي كثيرا لأنه أخذ عينا من عينيّ. لكنّ هذا الأعمى فتح بصيرتي لأحمد الله الذي حفظ لي عيني الثانية. المسكين لا يستطيع أن يرى جمال الطبيعة ونور الشمس، فيما أنا، ولو بعين واحدة، أستطيع. هو لا يقدر أن يبصر وجه ابنه ليعرف إن كان فرحا أم حزينا، قلقا أم مطمئنّا. أما أنا، والحمد لله، فقادر على رؤية وجوه أولادي ومعرفة ما بهم قبل أن يتكلّموا. هكذا قال، ورفع بصره إلى أعلى وهتف: سامحني يا ألله. اغفر لي يا إلهي الرحيم. لقد أسأتُ إليك، وأنكرت نِعَمك، وعميتُ عن هباتك وعطاياك. أما اليوم فقد انفتحت بصيرتي وأبصرت.

ما أن أنهى الرجل مناجاة ربّه حتى هاج مَن في المقهى وماج، وازدحم كثيرون إزاء النوافذ، فيما بعضهم هبّوا خارجاً يدفعهم الفضول لمعرفة ما يجري، ذلك أنّ امرأة خرجت إلى شرفة بيتها العالية تريد رميَ نفسها من فوق إلى الشارع. وقبل أن تطوي جسدها فوق الحاجز المعدنيّ، أمسكتْ بها امرأتان وردّتاها إلى الخلف؛ فأخذت تصيح وتقفز في مكانها محاولةً الافلات: "دعاني. اتركاني ألحق بولديّ. ما معنى حياتي من دونهما! لماذا أحيا بعدهما، لماذا!". ثم راحت تبكي وتضرب خدّيها بكفّيها، ورفيقتاها تشدّان بها إلى الداخل. إذ ذاك أطلق نعيم زفرة حرّى، وقال: إرحمْ عبيدك يا ألله. ثم أضاف:

كلُّ مَن تلقاهُ يشكو دهرَهُ
ليتَ شِعري هذهِ الدنيا لمَنْ!

- ما الأمر؟ ماذا يحصل؟ سأل الأعمى ابنَه بعدما خرج مستطلعاً الخبر ثم دخل.

- مسكينة. يقولون إنها فقدت ولديها منذ يومين بحادث سير مروّع. لقد كانت، بعد وفاة زوجها، تحيا من أجل أولادها، حتى قُتل ابناها ولم يبقَ لها سوى بنت وحيدة.

عندئذٍ مدَّ الأعمى ذراعَيه، واحتجز يد ابنه بين كفَّيه، وبصوت متهدّج وشفتين مرتعشتين قال: "اقتربْ مني يا ولدي. هاتِ رأسك أرِحْه على كتفي... أحمدك يا ربّي لأنك صبرتَ على شكواي وتذمّري. أشكرك يا إلهي على ما أنعمت به عليّ. لقد أخذتَ بصري، لكنك حفظت لي ابني. إذا شئتَ خُذْ بعدُ سمعي. خذ صحّتي. ما همّني ما دمتُ قادراً على لمس يد ولدي وشمّ رائحة ثيابه!". هكذا قال وبكى كثيرا قبل أن ينهض بمعونة ابنه ويتّجهان صوب الباب.

هذا الحوار، أيضاً، سمعه ناجي ونعيم. لكنهما بقيا معتصمين بالصمت وينظران إلى الخارج بعيون من زجاج، حتى مرّ من أمامهما رجل متوسّط العمر، شعره طويل أشعث، ذقنه غير حليق، ملابسه أكل الدهر عليها وشرب، بعض قميصه فوق سرواله وبعضه الآخر تحته. وكان يمشي مترنّحا و بصره بين قدميه، أما يداه فكانتا تضربان الهواء. و وقف في الطريق. ثم أجال الطرْف في كلّ اتّجاه. وشتم ولعن من غير أن

يردّ عليه أحد.

- مَن هذا؟ أتعرفه؟ سأل ناجي نعيما.

- يقال له سعيد المجنون.

- إيه والله. كلّ مجنون سعيد.

ثم راحا يرافقانه بالنظر حتى بلغ تقاطع طرق يقف عنده شرطيّ سير.

- قفْ يا سعيد، قال الشرطيّ.

- حاضر يا أفندي، أجاب وفعل بقدمه فعلَ السائق يضغط مداسّة الفرامل؛ فأضحك كلّ مَن رآه.

- كيف اجتزتَ السيّارة المتوقّفة هناك ولم تستخدم المنبّه! أما من منبّه في سيّارتك؟

- بلى، قال وقلّدَ صوت المنبّه.

- لا تخطئ مرّة ثانية وإلا نظّمتُ بحقّك ضبطا.

- حاضر يا أفندي.

- هيّا انطلق، قال الشرطيّ ولم يستطع أن يملك نفسه عن الضحك عندما ركض سعيد محدثاً صوتا يحاكي أزيز الإطارات على إسفلت الطريق.

هذا المشهد رأته أيضا من شرفة بيتها المرأة التي حاولت الانتحار منذ بعض الوقت، لكنها لم تضحك قطّ. لقد بدتْ ساكنة كتمثال من حجر، ذلك أنّ المهدّئ كان قد فعل في جسمها فعله. ولمّا نزلتْ بها ابنتها إلى الشارع لتروّح قليلاً عن نفسها فلا تبقى حبيسة بيتها وأحزانها، تقدّم نحوها عارفوها للسلام عليها تعبيرا عن تضامنهم معها في مُصابها. كذلك فعل نعيم وناجي.

- رحمَ الله ولديكِ يا أختاه، قال نعيم. ليمنَّ الله عليكِ بالصبر والسلوان.

- هذه الكأس سنجرع منها كلّنا، ولا أحد يعرف متى يحين حينه، قال ناجي.

- هناك في الأرض مَن قاسى أكثر مني وعانى أشدّ ممّا عانيت. لكنه صبر وما صبرت، وتحمّل وما تحمّلت. في لحظة يأس فقدت إيماني برحمة الله ولم يكن يجدر بي أن أفعل. إلهنا محبّ ورحيم. هو مَن أعطى وهو مَن أخذ؛ فلتكنْ مشيئته كما في السماء كذلك في الأرض. هكذا قالت، ومسحت دمعتيها بيديها، وأضافت: بعدما رأيت وسمعت من سعيد المجنون ما رأيت وسمعت، تذكّرتُ مقدار كرم إلهي وإنعامه عليّ. لقد أخذ ولديّ، لكنه ترك لي بقيّة عقل وحِلْم حتى أستغفره قلّة إيماني ونوبات غضبي. أما هذا المسكين فقد ذهب عقله بعدما قضت زوجته وابنته الوحيدة في حريق أتى على كلّ محتويات بيته؛ فأصبح أضحوكة فاقدي الإيمان والإنسانية. ذهب عقله ولم يعد يعرف أننا أبناء رجاء وقيامة لا أبناء موت وأحزان.

انصرف ناجي ونعيم من هناك. ثم افترقا على وعد بلقاء قريب. وإذ مرّ نعيم بأحد الحوانيت، ابتاع حاجاته كلّها. ثم عرّج على حلوانيّ يعرفه وانتقى قالباً كبيراً من الحلوى.

- لكنني لست أحمل الثمن، قال نعيم بخجل.

- مَن طالبك به؟! خذْ ما شئت؛ فأنت رجل شريف لا تأكل قرشاً على أحد.

حمل نعيم القالب، وأخذ طريق العودة إلى البيت لا يلوي على شيء. ولمّا وصل ودخل، نادى زوجته: "خذي هذا مني".

- ما هذا؟!

- قالب حلوى. نادي الأولاد. نريد أن نحتفل.

- نحتفل! بمَ! سألت. ولمّا لم تلقَ جوابا، نادت

أولادها؛ فحضروا في الحال. إذ ذاك فتح نعيم العلبة التي تحوي القالب، وجلس بين أفراد عائلته. ونظر إلى أعلى وقال: نشكرك أيها الربّ إلهنا لأنك أنعمتَ علينا بسقف يظلّل رؤوسنا فيما الكثيرون لا مأوى لهم، وبلقمة خبز تحفظ حياتنا وملايين الناس يموتون في الأرض جوعاً. بعد اليوم لن أنظر بعين الحسد إلى مَن رزقته أكثر ممّا رزقتنا وأعطيته ما لم تُعطنا. أنت الربّ الكريم الحكيم الذي يعرف كيف يوزّع عطاياه.

ما أن أنهى نعيم عبارته هذه حتى كان بعض احمرار يلوح في بياض عينيه من دمع حبيس. طلب من أصغر الأولاد أن يقصّ القالب؛ ففعل. ولمّا سئل تفسيرا لِما يحدث، قال: "قرأتُ أمس في كتاب أنّ غراباً ذهب إلى طائر بجع، وقال له: لا بدّ من أنك سعيد لبياض ريشك، فيما أنا تعس لأني أسود. بمَ تشير عليّ لأشعر ببعض السلوان؟ أجاب طائر البجع: لقد أخطأتَ، يا صديقي، إذ ظننتَني سعيدا. أنا شقيّ لأنْ ليس لي إلا لون واحد، فيما لريش الحسّون ألوان زاهية كثيرة. فما أسعده وما أشقاني!

ذهب الغراب إلى الحسّون، وقال له: ما أجمل ألوانك يا صاحِ! بمَ تنصحني لأطرد من قلبي هذا الحزن الذي خلّفه فيه سواد لوني؟ أجاب الحسّون وقد اكتسحت الكآبة قلبه: كيف تحسبني سعيداً بهذه الريشات القصيرة!! يا ليتني خُلقتُ كالطاووس ذا أرياش طويلة جميلة.

ذهب الغراب إلى الطاووس في قفص الطيور، وقال له: ما أسعدك بجمال ريشاتك! كيف لي، أنا الأسود، أن ألقى بعض العزاء؟ إذ ذاك خفض الطاووس ذيله الملوّن الطويل، وأناخ رأسه وبكى: "كم أحسدك على حريّتك أيها الصديق المحظوظ! أنا، كما تراني، حبيس هذا القفص اللعين. عليّ أن أرضى بما يقدّمونه لي من طعام وشراب. أما أنت فلكَ الفضاء الواسع ملعب، وحَبّ البيادر ودموع السواقي مأكل ومشرب. عندئذٍ طار الغراب بعيدا يضرب الريح بجناحيه، ويسبّح ربّه ويشكره على نعمة لم يكن قبل اليوم يراها".

ما أن أنهى نعيم حكايته حتى طأطأت زوجته سميّة رأسها، ومسحت دمعتين سالتا على خدّيها: "نحمدك أيها الربّ إلهنا على كلّ ما أنعمتَ به علينا"؛ فردّ الأولاد بصوت واحد: "الحمد لك يا ألله". أما الصغير فسأل أباه وهو يضع في صحنه قطعة حلوى ثانية إن كان قد رأى مرّة غراباً وطائر بجع وحسّوناً وطاووساً؛ فأجاب: "أجل. حدث كلّ ذلك اليوم". ثم قصّ على الجميع كلّ ما رأى في السوق وسمع.

صحيفة دولة المدينة المنورة ، دستور دولة النبوة

د. محمد عمارة - مفكر إسلامي مصري

في "صحيفة" دولة المدينة المنورة، دستور دولة النبوة، الذي وضع سنة 1هـ سنة 622 م . أي قبل أربعة عشر قرنا . نجد العديد من المبادئ الاجتماعية والسياسية التي يحتاج العقل المسلم المعاصر أن يتأملها، وأن يستفيد منها، على الرغم من القرون التي تفصل بيننا وبين ذلك الزمان.

ففي هذا الدستور تقنين لخروج الإنسان من إطار "القبيلة والقبلية" إلى رحاب الأمة. فبعد أن كانت القبلية هي " الأمة والدولة " تحدث لبنة في كيان الدولة الجديدة والأمة الوليدة والرعية السياسية التي أقامت بناءها الاجتماعي على أساس هذا الدستور.

وقبل هذا الدستور ودولته كانت شخصية الفرد ذائبة في كيان القبلية، فجاء هذا الدستور اليقين تطور جديد في تطور الإنسان العربي، " ففروض الكفاية " - الاجتماعية - جعلها الإسلام على "الأمة" و "فروض العين" - الفردية أوجبها على الفرد.. وبدلا من "القبلية" - التي سعى الإسلام إلى تذويبها في الأمة - برزت ذاتية الفرد ومسئوليته..

وبعد أن كانت " القبلية " تلحق إثم " الحليف " بحليفه، جاء هذا التطور، الذي قننه هذا الدستور، بالنص على " أنه لا يأثم امرؤ بحليفه "، وكذلك الحال مع "الجار" "وأن الجار كالنفس، غير مضار ولا آثم".. وبذلك أبرزت في هذا الدستور ذاتية الفرد، المسئول، والمكلف.. ونص الدستور على أنه "لا يكسب كاسب إلا على نفسه".

ولقد استند هذا الدستور الى سن "التكافل" بين رعية الأمة وجماعتها في مختلف الميادين، سواء أكانت تلك الميادين مادية أم معنوية.. فالأمة متكافلة ومتضامنة في الحق (وأن النصر للمظلوم).. وهي متكافلة ومتضامنة في المساواة القانونية (ذمة الله واحدة.. والمؤمنون يجير عليهم أدناهم).. الأمر الذي يعني رفض " الطبقية " الجاهلية، عرقية كانت أو اجتماعية..

وهذه الأمة متكافلة متضامنة - كذلك - في المعاش والأموال، فهي مع (المفرح)- أي المثقل بالدين - حتى يتحرر من الدين الذي يثقل كاهله!.

وعلى الرغم من أن " الحاكم " للدولة كان النبي صلى الله عليه وسلم، وعليه ينزل وحي السماء بالقرآن الكريم - أي أنه قد جمع " الولاية الزمنية " إلى " النبوة والرسالة "، إلا أن هذه الدولة لم تكن " دولة دينية " بالمعنى الذي عرفته مجتمعات غير إسلامية، وفلسفات غير إسلامية.. فهذا الدستور قد " تميز " من القرآن، وإن لم يخالف ما جاء فيه من نصوص و أحكام.

و"رعية" هذه الدولة لم تقف عند "الجماعة -الأمة- المؤمنة"، بل كانت "رعية سياسية" اتخذت من المعيار السياسي والإطار "السياسي" ميزانا تحددت وميزت به الرعية.. فهي قد شملت، إلى جانب الجماعة "المؤمنة" بالإسلام: سكان يثرب- المدينة ومن لحق بهم، بمن فيهم من العرب الذين تهودوا، ومن اليهود والعبرانيين الذين حالفوا الأوس والخزرج.. وكذلك "الأعراب" الذين "أسلموا" ولما يدخل "الإيمان" بعد إلى قلوبهم..

وأيضا الذين " نافقوا " النبي والمؤمنين، فأظهروا الإسلام، واستمروا على كراهة الإيمان بالدين الجديد ولقد استخدم هذا الدستور مصطلح "الأمة" -بمعنى الرعية السياسية- المتعددة الديانات- (فالمؤمنون أمة واحدة من دون الناس.. ولليهود دينهم وللمسلمين دينهم)..

فأقر التسوية في المواطنة وحقوقها و واجباتها، التي تحكمها مرجعية الإسلام.

بحث عن العلاقات الدولية فى الإسلام

حسين محمد الحسن - أستاذ من السودان

الجزء الأول

إن نظام العلاقات الدولية في الإسلام متسع للكثير من المجالات القائمة على مبادئ متعددة يأتي فى مقدمتها المبدأ القرآني ، والمبدأ النبوي ، ومبدأ إعمال روح الأخوة الإنسانية ، ومبدأ ما تقتضيه المشاركة في الدار – الوطن – بتعبيرنا العصري ومبدأ عالمية الدعوة ، ومبدأ إجتماعية العنصر البشري. وفيما يلى تفصيل ذلك:

لقد أكدت العقيدة الإسلامية بنصوصها القطعية أن الإنسانية تعود في أصلها الأول إلى نفس واحدة منها جاءت البشرية جميعا ، وأن عنصرها الأول واحد هو التراب، وأن نهايتها واحدة هي الرجوع إلى الله تعالى ليجزي كل نفس بما كسبت. وإلى جانب وحدة الإنسانية تلك، بين الله تعالى أن تمايز الناس إلى شعوب وقبائل ، إنما هو بقصد تحقيق مبدأ التعارف، حيث يقول الله تعالى : ((ياأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير))(1) ، فحكمة هذا الاختلاف في الأنساب والألوان واللغات إنما هو لأجل التعارف، والتعارف المطلوب هو التعارف المثمر والمفيد ، وهو المقصود من الآية الكريمة ، وليس مجرد التعارف الذي لايجدي شيئا و لا يفيد البشرية نفعا ، بل أن المقصود التعارف الكامل والتعاون المثمر الذي يحقق وجود الإنسانية ، والذي تتلاقى فيه كل الأمم والشعوب، لتتعاون فيما بينها على البر والتقوى وخدمة الإنسانية(2) ، وهذا البعد الإسلامي للتعارف يبين مدى أهمية الترابط الإنساني الذي يستوجب إقامة العلاقات بين بني الإنسان ، واستمرار تلك العلاقات بما يحقق إنسانية الإنسان المستحقة في الإسلام للتكريم كما يقول الله تعالى : ((ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا))(3) ،ومن منطلق إنسانية الإنسان في حد ذاتها استحق هذا الإنسان التكريم ، ولذلك رغب الإسلام في تعميق روح الأخوة

الإنسانية(4).

منهج الإسلام فى التعامل مع المخالفين له في الدين :

مع أن الإسلام هو دين الله تعالى إلا أنه لايحارب مخالفيه لمجرد صدودهم عن أعتناقه، إنه يحارب العدوان ،ولايحارب إختلاف الأديان، قال تعالى : ((لا إكراه فى الدين))(5)

لذلك شرع نظام الأمان فى الإسلام والذى يستلزم كل أنواع الحماية والرعاية المعروفة قديما وحديثا ويكفلها للشخص الأجنبي فى دار الإسلام، وهذا بدوره يشجع على اختلاط المسلمين بغيرهم وعقد صلات المودة معهم، وتبادل المنافع والخبرات بين المسلمين وغيرهم، لأن الإسلام لايريد من أتباعه ولايحكم عليهم بأن يعيشوا وراء ستار حديدي فى معزل عن العالم الخارجي لاشيء إلا لأنهم لم يدخلوا فى الدين الإسلامي ، لأن العزلة والانغلاق وعدم تبادل المنافع والخبرات من التجارة والإستفادة من خيرات الأرض تنافي طبيعية الحياة ومتطلباتها ، والإسلام دين الفطرة ، لذلك فالتبادل التجاري بين المسلمين وغير المسلمين أمر مشروع ، والتعامل بالمثل في تبادل المنافع والتعامل التجاري وسن الضرائب أمر يقره فقهاء الإسلام في أحسن وأجمل صورة(6)

قال الشافعي رحمه الله: إذا جاءوا بتجارة (أي أهل دار الحرب) والناس بحاجة إليها أذن لهم في الدخول لأن في دخولهم نفع للمسلمين(7)، وإذا كان الإسلام قد منح المخالفين له في العقيدة عقد الأمان والإذن بالدخول لمصلحة تراها الدولة الإسلامية ، وكفل للأجنبي حق الحماية وحرمة المسكن وحرية الاعتقاد والحرية الشخصية ، فإنه كذلك قد كفل لهم حرية الانتقال والتجوال من مكان لآخر باستثناء أماكن محدودة يحرم دخولها نظرا لقدسيتها كالبيت الحرام وما جاوره ، أو دخول المساجد، أو المناطق العسكرية، فهذا مستثنى ويعتبر حقا مشروعا لكل دولة، وأما انتقال الأجانب فى دار الإسلام بغرض السياحة والإطلاع على الآثار الإسلامية والاختلاط بالمسلمين فإن هذا يدخل ضمن حق المجئ والرواح والانتقال من مكان إلى آخر كما هو مكفول للأجنبي ، ولاشك أن سياحة الأجانب فى دار الإسلام تمكنهم من الاختلاط بالمسلمين والتعرف على محاسن الإسلام والإطلاع على احكام الشريعة الإسلامية ومبادئها وقيمتها السامية، وهو إطلاع عن قرب قد يمكن الأجانب من الدخول فى الإسلام، وهذه نعمة عظيمة وفرصة ثمينة فى أيدي المسلمين لنشر الدعوة الإسلامية.

العلاقات الإقتصادية والتجارية:

تعتبر العلاقات الإقتصادية والتجارية بين المسلمين وغيرهم من أبناء الديانات والمعتقدات الأخرى من الأمور المشروعة، عندما تنضبط بأهداف ومقاصد الشريعة وأحكامها وتوجيهاتها وآدابها ، كما أنه لاغنى لأي أمة من الأمم عن التبادل التجاري مع الأمم الأخرى من البشر ، نظرا لتنوع واختلاف الثروات والمنتجات من دولة خرى ، فضرورة تبادل المنافع التجارية والإقتصادية ، وتصدير الفائض واستيراد ما هو معدوم أمر ضروري لحياة الناس ، ولايتم ذلك إلا عبر العلاقات التجارية.

ويستمد المسلمون اباحة وجواز اقامة العلاقات

الإقتصادية والتجارية مع غير المسلمين من القاعدة الأصولية الشرعية المتمثلة بأن الأصل في الانشطة الإنسانية (براءة الذمة) أي أن النشاط فى أصله متصف بالإباحة ، ولا يخرج على حكم الاباحة والجواز الى الحرمة الا اذا دخل فى محظور شرعي بخروجه ، أو استخدم وسيلة غير مشروعة ، كبيع الاسلحة للعدو ، أو المواد التي تدخل في التصنيع الحربي مما يقوى شوكة الدولة المحاربة ، أو استيراد الخمر أو المخدرات أوالخنزير الى دار الاسلام فهذا وأمثاله غير مباح(8)؛ وللعلاقات الاقتصادية والتجارية بين أبناء المجتمع المسلم وغير المسلم فوائد مهمة وآثار طيبة وذلك مثل توفير ما هو معدوم أو تحقيق ربح ، كما أن للتجارة الخارجية للدولة الاسلامية آثارا طيبة في مجال نشر الفكر الاسلامى من تقديم النموذج الاسلامي الأصيل فى المعاملات ، كما عمله سلفنا الصالح من التجار المسلمين ، الذين نشروا الاسلام في كثير من البلدان غير المسلمة، من تحليهم بالصدق والامانة وحسن الخلق في تجارتهم وتعاملاتهم .

ان التجارة نشاط انساني مباح في الأصل إذ يقول الله تعالى: ((وأحل الله البيع وحرم الربا))(9) ممدوح النتائج، محمود الأثر ، ويؤجر التاجر المسلم كلما صفت نيته وخلص قصده في ابتغاء دفع الحاجة ، وإعالة الأهل سواء أكانت تجارة مع المسلمين أم مع غير المسلمين، شريطة عدم التعامل بالربا ، أو الغش أو أي تعامل محرم شرعا.

والقاعدة العامه في حقوق واجبات الذمي في دار الإسلام (بالطبع) أنهم كالمسلمين – إلا ما استثني – حتى شاع بين الفقهاء القول المشهور (لهم مالنا وعليهم ما علينا)(10) وذلك لأنه بعقد الذمة صار من أهل دار الإسلام(11) ، وأما المستامن فيتمتع بالحقوق نفسها الخاصة بالذمي ، لأنه كما قال الفقهاء بمنزلة الذمي مادام في دار الإسلام ، فله مباشرة المعاملات المالية مع المواطنين مسلمين كانوا أو ذميين(12)، إلا إنه لايمكن من شراء ما فيه تقوية لدار الحرب مثل السلاح ونحوه(13) وله حقوق تملك المنقول والعقار ، بل وله تملك عقار المسلم بحق الشفعة(14)، وحقه في الملكية مصون (15)ولكن إذا توصل التاجر إلى الكسب بالغش والخداع او مارس الربا فإن ذلك حرام على المسلم أو غير المسلم ويلزم بإعادة الحقوق إلى أهلها.

وبهذا لاتقيد الدولة الإسلامية حق ممارسة التجارة للمسلمين فقط، بل تعطي حق التجارة للمتمتعين بعهد الذمة، وكذلك الكافر الذي يدخل دار الإسلام بعقد أمان تطبق عليهم احكام الشريعة الإسلامية في التجارة التي على المسلمين، فيما عدا المستأمن فإننا نعامله في الاخذ من ماله بمثل التعامل الذي يعامل به التجار المسلمون في بلاده وذلك طبقا لمبدأ التعامل التجاري بالمثل.

وهنا نفهم أن الاصل جواز التعامل التجاري مع مراعاة الضوابط الشرعية الواجب اتباعها وعدم مخالفتها، كما أن التجارة الداخلية التي تمارس داخل حدود الدولة الأسلامية من مسئوليات الدولة الاسلامية لها حق القيام بالرقابة على التجارة حتى لا تتجاوز الحركة التجارية حدود الشرع الاسلامي، وذلك كمنع الاحتكار في المواد الاساسية، وربما دعتها الظروف والمصلحة

الى تحديد الاسعار بما لا يظلم التاجر ، وغير ذلك من الاجراءات والقوانين التي تفرضها الدولة الاسلامية بدافع تحقيق المصلحة العامة (أي المصلحة المرسلة) ومن الضمانات الواقعية والمنطقية لمحدود وفعالية العلاقات الاقتصادية والتجارية مع غير المسلمين سواء داخل الدولة الاسلامية أو خارجها أنه يجب على التاجر المسلم الوفاء بما ابرمه من عقود أو التزم به من شروط مع التاجر غير المسلم عملا بالنصوص القرآنية الدالة على الوفاء بالعقود والعهود كما أشرنا اليه سابقا، كما ان عليه الوفاء بما استدانه من نقود أو سلع عينية اذ لايعذر لأنه ان نكل أو غدر فانه يدخل في الاثم ويجب على الدولة الاسلامية تأديبه ورده الى الحق قال تعالى ((لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين))(16) قال بعض المفسرين ان هذه الاية تدل على جواز البر بين المسلمين ، وغير المسلمين(17) ، ومعروف أن البر كلمة شاملة لكل معاني الخير والإحسان والأمانة ، وصدق التعامل، عملا بالحديث الشريف (لكل غادر لواء يوم القيامة يعرف به بقدر غدرته)(18).

أما التجارة الخارجية:

فهي كذلك نشاط تجاري هام، لكنها تختلف عن التجارة الداخلية لكونها تتم بين دولتين أو بين فردين من دولتين ، وهنا نجد أن تدخل الدولة الإسلامية في التجارة الخارجية أوسع وأوجب ، وهذا لايعارض حرية الفرد المسلم في التجارة داخليا أو خارجيا ، لأن ذلك أمر ضروري لمنع أي تجارة تضر بالدولة والمجتمع الإسلامي مثل استيراد الخمر، أو تهريب العملة، أو تصدير السلاح وبيعه للأعداء ، وغير ذلك مما يترتب فيه إلحاق الضرر بالمسلمين ، وهنا فإنه على الدولة أن تقوم بمسئولياتها التي تتطلبها تحقيق المصلحة العامة ، ومن تلك المسئوليات :

- منع تصدير السلع التي تعمل على زيادة القوة والتمكين لأعداء الدولة الإسلامية.
- إذا تأكد أن المواد المصدرة ربما استخدمت في تصنيع حربي ، أوماشابه ذلك فإنه يحرم بيعها خارج الدولة(19).
- يدخل في ذلك منع بيع وتصدير كل ما يمس البنية الحضارية والثقافية التي لا غنى عنها للإمة ، كالآثار وكتب التراث مثل المخطوطات وبالذات النادرة منها ، وكذلك منع استيراد الخمور، أو بيعها أو تصديرها.
- كما أن من مسئوليات وواجبات الدولة الإسلامية تجاه التجارة الخارجية وضع نقاط امنية ورقابية وتفتيشية وجمركية على حدودها لضمان الآتي:

(أ) لمنع دخول كل ما في دخوله ألحاق الضرر بالمجتمع المسلم.

(ب) لمنع خروج كل ما في خروجه ألحاق الضرر بالمجتمع المسلم.

(ت) استيفاء ماهو مقرر أنه حق للدولة الإسلامية من الضرائب(20)

العلاقات السياسية الدبلوماسية:

تقيم الدول فيما بينها علاقات متنوعة ومختلفة ، ومما يدعم ويوطد هذه الملاحظات ما يعرف الآن بافتتاح السفارات ، سواء أكانت سفارات مقيمة أم غير مقيمة وجرت العادة أن يحظى العاملون في هذه السفارات بحصانات دبلوماسية تضمن لهم صيانة وحفظ امتيازاتهم التي تمكنهم من أداء مهامهم وأعمالهم ، وما

تقيمه الدول اليوم فيما بينها من العلاقات السياسية الدبلوماسية ليس في الواقع وليد هذا العصر، وإنما هو نتاج التراكم التراثي من أعراف وعادات وتحولت إلى قوانين سلوكية دولية ، فلقد عرفت الحضارات القديمة السفارات بين الدول وكان للرسل – لاسيما أثناء الحروب – شارات يعرفون بها، فتفسح لهم الطرق ويمكنون من أداء أعمالهم وتصان حياتهم فلا يحق لأحد التعرض لهم بسوء وهذا مايعرف في عصرنا الحاضر بحصانة الرسل والسفراء(21) ، والشريعة الإسلامية أعطت العلاقات السياسية الدبلوماسية مكانة كبيرة، وذلك لأهميتها في تجسيد العلاقات إلى واقع ملموس، ولما تؤديه من الترابط بين الدول، مما يمكنها من حل المشاكل التي قد تنشأ فيما بينها ، إلى جانب مايتحقق عبر العلاقات السياسية الدبلوماسية من تعاون ، ومصالح مشتركة.

وقد سلكت الشريعة الإسلامية في تنظيم العلاقات السياسية الدبلوماسية منهجا راقيا يقوم على مفاهيم رفيعة أهمها :

أولا: أن أعتراف الدولة الإسلامية بغيرها من الدول هو اعتراف واقعي، وليس اعترافا شرعيا فحسب فالإعتراف الواقعي يتم على أساس الوجود المادي المحسوس للدول غير الإسلامية، والذي لايمكن إنكاره وعلى أساس هذا الاعتراف الواقعي تعقد الدولة الإسلامية معها المعاهدات، ومايترتب فيها من التزامات، أو حل لمشاكل معلقة أو تنظيم أمور تجارية فيما بينها، وعلى أساس هذا الإعتراف تسمح لرعايا الدول غير الإسلامية – المعترف بها – في الدخول إلى إقليم الدولة الإسلامية بالأمان، وما يترتب فيه من أحكام وحقوق وواجبات بالنسبة للمستأمن في دار الإسلام(22)، وحق الأمن في الإسلام بمثابة الحصانة الدبلوماسية يعطيه الإمام أو من ينوب عنه، أو قائد الجيش، أو فرد مسلم في الدولة الإسلامية.

ثانيا: إقامة العلاقات السياسية االدبلوماسية : على أساس مبدأ التعامل بالمثل، وإعمال الأعراف والعادات والتقاليد الدولية التي تحقق المصلحة المشتركة للجميع(23) بوساطة إجراءات الحصانات والإمتيازات للبعثات الدبلوماسية.

ثالثا: ومن دلائل اعتراف الدولة الإسلامية بالدول غير الإسلامية: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه وهو يشير عليهم بالهجرة إلى الحبشة تخلصا من أذى قريش(لو خرجتم إلى ارض الحبشة ، فإن بها ملكا لايظلم عنده أحد)(24) وذهب المسلمون إلى تلك البلاد ليرسوا بذهابهم ذلك أول علاقة دولية مبكرة للدولة الإسلامية وهي في طور التكوين ، مع غيرها من الدول ، وحين أوفدت قريش وفدها لاسترداد المسلمين دافعوا عن أنفسهم بالحجة والبرهان، مستفيدين من رحابة صدر النجاشي، فأسسوا بذلك أيضا مبدأ اللجوء السياسي ووجوب حمايته، وهو أمر أقره الفقه الإسلامي بعد ذلك وجعله حقا يعطي لكل طالب له ، طالما ألتزم بشروطه(25) ، وكذلك رسائله صلى الله عليه وسلم وكتبه إلى ملوك وحكام الدول، ورؤساء القبائل ، يعرض عليهم الإسلام بعد أن أمن جانب قريش، ووجد الوقت مناسبا والفرصة مواتية لنشر الدين القيم إلى خارج حدود دولته، فهو مرسل إلى الناس كافة يقول الله تعالى: ((قل يا أيها الناس إني رسول الله

إليكم جميعا))(26)
لذلك كاتبهم الرسول صلى الله عليه وسلم ، وهو يعلم أن مكانتهم ليست بالأمر الهين وقد ذكر ابن هشام أسماء الرسل وأسماء الملوك والأمراء الذين أرسل إليهم(27)

المراجع

1. سورة الحجرات ، آية (13). سيد قطب ، في ظلال القرآن ، مجلد (6) ، ج(26) ، ص 334. الشوكاني، تفسير فتح القدير، مجلد (5)، ص 67 .
2. الشيخ/ محمد عبده عمر ، العلاقات الدولية في الإسلام ، بحث غير منشور.
3. سورة الأسراء ، آية (70).
4. د/ حسن الترابي وآخرون ، بحث في منظمات المؤتمر الإسلامي ، ص 2، بتصرف.
5. سورة البقرة، آية (256)
6. د/ عبد الكريم زيدان، أحكام الذميين والمستأمنين فى الإسلام،ص177، مرجع سابق.
7. المغني ، ج (10) ، ص602، 603، 604.
8. أنظر كتاب الخراج لأبي يوسف ، ص199.
9. أحمد يحيى المرتضي ، كتاب البحر الزخار ، ج(3) ، ص 301، ابن قدامة المقدسي ، كتاب الشرح الكبير ، ج(10)، ص578.
10. الإمام الكاساني، بدائع الصنائع ، ج(7)، ص111.
11. شمس الدين السرخسي، المبسوط ج (10) ، ص 281
12. ابن رشد، المقدمات ، ج (2) ، ص 289،الإمام / أحمد بن حنبل ، أحكام أهل الذمة ، مسالة البيع والشراء من أهل الذمة ، ص 105، 109.
13. المرجع السابق ، ج(2)، ص 280، د/ عبد الكريم زيدان ، مجموعة بحوث فقهية ، ص 81، المرجع السابق .
14. ابن قدامة، كتاب المغني ،ج (10)، ص 483 ومابعدها
15. المرجع السابق ، ج (6) ، ص 297.
17. الامام/الفخر الرازي ، التفسير الكبير ، مجلد (10) ، ج(29)،ص 521
18.الإمام الترمذي، الجامع الصحيح ، ج (4)، ص122، الإمام / ابن حمزة الأزدي ، المتوفي سنة 699هـ ، كتاب مختصر صحيح البخاري المسمى كتب جمع النهاية في بدء الخبر وغاية ، بيروت ، مؤسسة اكتاب ، ص191.
19. الإمام ابي يوسف ، كتاب الخراج، ص190 ، الإمام/ الشافعي ، كتاب الأم ، ج(3) ، ص65. ، حاشية ابن عابدين ، ج(3) ، ص65.
20. الإمام / الشافعي ، كتاب الأم ، ج(4) ، ص125 - المرجع السابق ، الإمام/ أبي يوسف ، كتاب الخراج، ص13 المرجع السابق ، الإمام/ أحمد بن يحيى المرتضى ، كتاب البحر الزخار ،ج(5) ، ص468.
21.د/ وهبة الزحيلي ، أثر الحرب في الفقة الإسلامي في دراسة مقارنة ، ص267،266 ، د/ عبد الله الأشعل ، المستشار القانوني لمنظمة المؤتمر الإسلامي ، بحث بعنوان (نحو إقامة نظام للدبلوماسية الإسلامية)، طرابلس ، الجماهرية الليبية ، نشر الدعوة الإسلامية، 1989م ، العدد(6).
22.د/ وهبه الزحيلي، آثار الحرب ، حيث علق على الآية الكريمة ((ولاتكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا مكانه أن تكون أمة هى أربا من أمة)) سورة النحل آية (92) ، أربا من أمة أي : أكثر منها أموالا ورجالا وصولة وأعز مكانة ، وهذا الدليل على إقرار وجود دول أخرى لغير المسلمين ، ص168.
24.ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج(1)، ص 343. فتح الباري في صحيح الإمام البخاري ، مجلد(7) ، كتاب مناقب الأنصار ، باب الهجرة إلى الحبشة، ص188.
25. الشيخ / محمد عبده عمر اليافعي ، مذكرة العلاقات الدولية من منظور الإسلام ، ص 24، محفوظة.
27.ابن هشام/ أبو محمد عبد الملك بن هشام المعافري ، المتوفى عام 218هـ، السيرة النبوية ، تحقيق مصطفى السقا وآخرون ، مطبعة البابي الحلبي، ط (1936) ، ج(4)، ص254

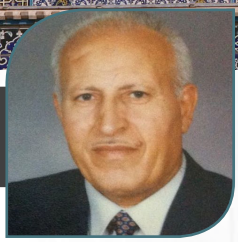

الواجب والمطلوب نحو القدس والمقدسـات

الأستاذ الدكتور محمد عبد القادر عطوات - أستاذ جامعي وإمام جامع من فلسطين

إن المطلوب من جميع الفلسطينيين والعرب والمسلمين والجهات الدولية واجبات متعدِّدة تتمثَّل بما يلي:

أولاً: على المستوى الفلسطيني:

1- على الشعب الفلسطيني أن يهبَّ بانتفاضة جماهيرية عارمة جديدة ويقوم بمسيرات حاشدة للتعبير عن سخطه واستنكاره لهذه الإجراءات ضد القدس والمسجد الأقصى المبارك وأهلنا المدافعين عنهما، وأن يكون شعبنا المرابط على مستوى الحدث، وأن يتوحَّد ويوجِّه جميع الأسلحة باتجاه العدو الصهيوني، ووقف الخلافات والإنقسامات ومحاربة مثيري الفتن.

2- على القيادة الفلسطينية رئاسةً وحكومةً التحرك السريع لدعم صمود أهلنا في مدينة القدس، ورفع دعاوى للمنظمات الدولية – ضدّ العدو الصهيوني – كمجلس الأمن، ومنظمة العدل الدولية، ومنظمة اليونسكو، مع تكليف محامين مقتدرين لتبنّي رفع هذه الدعاوى، ضد العدوان على قطاع غزّة وضدّ اغتصاب وسرقة الكثير من الأراضي الفلسطينية في الضفة الغربية وإقامة المستعمرات الصهيونية عليها، زيادة على أسر وتعذيب الآلاف من الفلسطينيين، وهدم الكثير من البيوت والمتاجر، واقتلاع الكثير من أشجار الزيتون وغيرها من المزروعات.

3- على الفصائل والأحزاب الفلسطينية أن يفعّلوا دورهم ويتحركوا بسرعة لنجدة مقدساتنا وآثارنا في القدس بل وفي كل فلسطين، والقيام بكل ما في وسعهم من وسائل المقاومة المشروعة لإجبار العدو الصهيوني على وقف اعتداءاته المتكررة على المسجد الأقصى المبارك وأهلنا ومقدساتنا في القدس وفلسطين.

4- على المجلس التشريعي الفلسطيني أن يفعّل دوره بالتحرّك السريع والعاجل مع البرلمانات العربية والإسلامية والدولية ومطالبتها باستنكار جرائم الحرب التي تقوم بها سلطات الإحتلال الصهيوني ضد العرب والقدس والمسجد الأقصى المبارك والمقدَّسات والآثار، وتفعيل الإجراءات القضائية ضد

هذا العدو، لإجباره على وقف عدوانه وأَخص بالذكر مطالبة البرلمانات العربية والإسلامية بتشكيل لجنة خاصة بالقدس وفلسطين ضمن لجانها الدائمة لما تمثِّله هذه القضية من رمزية خاصة عند العرب والمسلمين.

ثانياً: على المستوى العربي والإسلامي:
1- على الجماهير العربية والإسلامية أن تدعم صمود الشعب الفلسطيني في مواجهته للعدو الصهيوني ومخططاته بغية الذود عن حياض المسجد الأقصى وحمايته بشتى الوسائل واسترجاع الأراضي المغتصبة للفلسطينيين، وإطلاق سراح الأسرى وتسيير المسيرات الجماهيرية في المدن العربية والإسلامية إستنكاراً لهذه الهجمة الصهيونية الشرسة ضد المسجد الأقصى المبارك.

2- ضرورة التقدّم إلى المؤسسات الدولية وحقوق الإنسان التابعة للأمم المتحدة مثل مجلس الأمن ومحكمة العدل الدولية، ومنظمة اليونسكو بصفتها راعية لحماية الآثار في العالم من أجل إتخاذ قرارات حاسمة ضدّ العدو الصهيوني، تلزمه بالحفاظ على المسجد الأقصى المبارك وعلى الآثار الإسلامية والمسيحية في القدس.
3- على حكام العرب والمسلمين أن يكونوا على قدر المسؤولية وأن يهبوا للدفاع عن المسجد الأقصى المبارك، ويقوموا بالضغط على العدو الصهيوني بشتى الوسائل، وذلك بوساطة:

أ- قطع العلاقات الدبلوماسية والتجارية الظاهرة والسرِّيَّة وعدم إقامة علاقات جديدة معه، وسحب السفراء...
ب- توفير الدعم المادي والمعنوي للشعب الفلسطيني في مقاومة الإحتلال والعدوان على الآثار والمقدسات والحقوق الفلسطينية.
ج- تفعيل جامعة الدول العربية ومنظمة المؤتمر الإسلامي لتقوم بتحريك الدول العربية والإسلامية وملوكها ورؤسائها وأمرائها لدراسة الوضع الخطير الذي يتهدَّد المسجد الأقصى المبارك، وسبل الدفاع عنه، وأن يقوم هؤلاء بحملة لإصلاح الأماكن المتضرِّرة من العدوان في القدس وفي قطاع غزَّة والضفة الغربية، ودعم المتضررين العرب كافةً في الأراضي المحتلة...
د- تفعيل المقاطعة العربية والإسلامية للكيان الصهيوني في شتى المجالات.

4- أن يتوحد حكام العرب والمسلمين، ويضعوا خطة عملية تنفذها جيوشهم وشبانهم في محاربة هذا المحتل الظالم، وهذا هو الحل الجذري الأفضل باقتلاع دولة الصهيونيين، والتخلّص من عدوانهم وبغيهم وظلمهم وطغيانهم.

ثالثاً: على المستوى الدولي:
1- على الأحرار من شعوب العالم: دعم صمود الشعب الفلسطيني في الدفاع عن مقدساته وآثاره وأرضه ومعالمه الإسلامية والمسيحية، وفي العمل على إسترداد حقوقه المقدسة، وأهمها تحرير فلسطين وعودة اللاجئين إلى بلداتهم وممتلكاتهم.
2- على حكومات العالم: الضغط على العدو الصهيوني حتى يوقف عدوانه الظالم على القدس والمقدسات والشعب الفلسطيني وممتلكاته.
3- على المنظمات الدولية: التفاعل الإيجابي مع مطالب الشعب الفلسطيني العادلة، واتخاذ القرارات اللازمة للجم العدو الصهيوني حتى يقلع عن ممارساته الغاشمة ضد هذا الشعب ومقدساته وآثاره وممتلكاته.
والله الموفق والقادر على توحيد العرب والمسلمين ونصرهم، والحمد لله رب العالمين

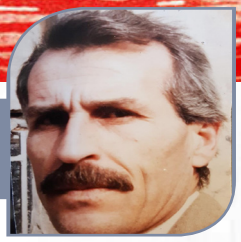

الاستقلال .. بنيان لم يكتمل

الأستاذ يوسف الورداني - كاتب من لبنان

كلبنانيين نعيش عرساً وطنياً مزيفاً، فنستذكر بأسى، أن الإستقلال، مشروع لم يكتمل ، وإن الفرنسيين، أعطونا الإستقلال، وسلبونا الإستقرار، لأنهم أقاموه على رافعة طائفية ومذهبية، فكان العرف وكان 6*6 مكرر، ثم بعد نصف قرن، كان الطائف الذي قضى بالمناصفة، مع أن شركاءنا في الوطن، يمثلون 34% من اللبنانيين.

هذا و قد قام الإستقلال يومها، على مقايضة غير عادلة أعطينا بموجبها، المارونية السياسية، المواقع الرئيسة في هيكلة السلطة، كرئاسة الجمهورية، وقيادة الجيش، ومديرية المخابرات، والأمن العام وحاكمية مصرف لبنان مقابل أن يكون لبنان عضواً في جامعة الدول العربية.

و كان البزار غير المتوازن السبب الرئيس، لأن نكون على موعد مع خضات أمنية، في محطات عديدة من تأريخ الإستقلال توجناها بحرب مدمرة عام 1975م، ولم تنته ذيولها بعد لنلجأ ، أثناءها وبعدها إلى العنف لإلغاء الآخرين ، فقتلنا بشير جميل و رنيه معوض، وقتلنا رشيد كرامي و رفيق الحريري، وقتلنا وزراء ونوابا ونخبا إعلامية، وقتلنا المواطنة في ذواتنا لأننا إنخرطنا بعلم أو بدون علم، بمخططات إقليمية ودولية ، كانت جميعها غير حريصة على إستقرار لبنان وديمومته بقدر حرصها على مصالحها الخاصة.

وبقيت الشراكة في المواطنة، عرضة للإستئثار والغبن فابتكرنا العديد من الشعارات والعبارات ، لتغطية هذه النقيصة، كالديمقراطية التوافقية ، والثلث المعطل، والمحاصصة ، لنقف عند إستحقاق عاجزين عن العبور فوق هذه الأعراف -المعوقات- إلى رحاب المواطنة الحقة، فانقلبنا على العرف ، وعلى المناصفة، ومنا من يعمل على مبدأ المثالثة كحل لعدالة الشراكة.

لقد غاب عن أذهان بعضهم، قصدا أم سهوا، أن ليس بهذه الطريقة يدار الوطن، ويتحقق الإستقلال، وليس بهذه النمطية السياسية يمكن الوصول إلى حلول إنقاذية أو على الأقل ، تحمي من الوقوع في مطب الأفخاخ النصوبة هنا وهناك.

وإذا كان العجز الداخلي يبدو واضحاً، من عدم القدرة على الإقتراب من نقطة توافق، فقد ظهر التأثير الخارجي، كمخططات إقليمية و دولية إنه لاعب أساسي على الساحة اللبنانية، مما يدفعنا إلى التأكيد على أن أزمة هذه العناصر هي مكوناتها المتناقضة، و التي تدار بهذه الآليات المتصارعة، لا يمكن أن تجد سبيلاً لحلها، على قاعدة الخطاب السياسي الرائج حاليا، والقائم على العصبية والكيدية التي تتداخل فيها كل مكونات الأزمة. لذا نرى إن الطريق الى الحل يجب أن يرتكز في المسلمات التالية :

- أن تتكون لدى الجميع قناعة ثابة، بأن أي فريق مهما كبر حجمه السياسي، لا يمكنه أن يلغي فريقا آخر ، وأن الجميع محكومون بالعيش تحت مظلة وطنية واحدة.

- إن إنتماء المواطنة يجب أن يتقدم على أي إنتماء آخر، وهذا الوعي يجعل المؤسسات الوطنية - مجلس النواب ومجلس الوزراء- هي المرجعية الشرعية الوحيدة لإدارة شؤون البلاد.

- إن الحلول الإكراهية التي تفرضها معطيات اللحظة السائدة إنما تؤسس لأزمات تنفجر حكما في وقت لاحق ، لإن الإستئثار لا يقيم نظاما عادلا، والتعطيل ، يحول و إدارة فاعلة ، وقد اختبر هذان النمطان، وأديا إلى نتائج كارثية.
- إن قوة أي فريق لا تقاس بما يحوز عليه من سلاح، وبالتالي لا يمكن أن يكون السلاح عنصرا حاسما في ظل وضع مركب كالوضع اللبناني، فقلاع الطائفية ستبقى عصية على السلاح، خاصة إذا كانت حاضنة هذا السلاح بيئة طائفية أو أساسية، تتبع هذا الفريق أو ذاك.

- يعي الجميع إن الضمانة الوحيدة هي الخطاب الجامع ، القائم على ثوابت وطنية، كوحدة الأرض والشعب والمؤسسات، و ثوابت الإنتماء العربي والهوية العربية، و ثوابت الديمقراطية الحقة.

هذا وإن وعي الطبقة السياسية، لأهمية هذه الثوابت، هو الذي يجعل الجميع قادرين على مواجهة التحديات التي تواجهنا، ولعل أبرزها تشكيل الحكومة التي تعطي لعجلة الحياة انطلاقتها.

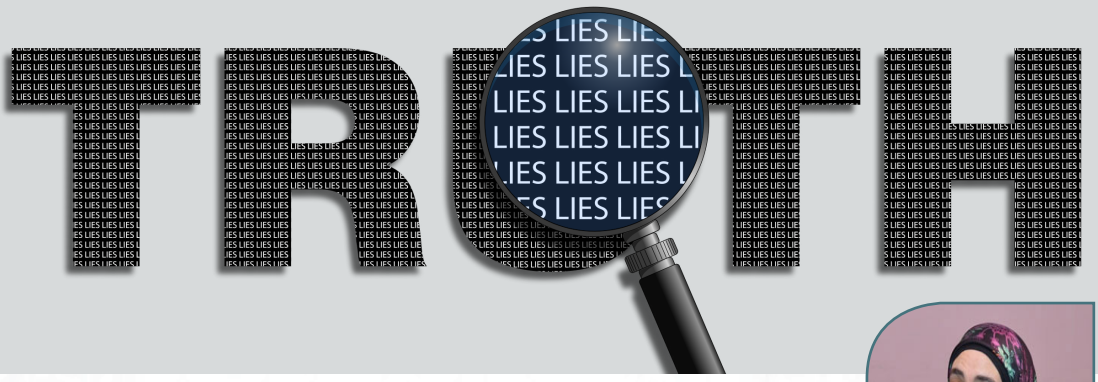

أكـذوبـة : الإعـلام لا يكـذب

د. ربى الشعراني - أستاذة جامعية من لبنان

إن التأثير الكبير بجميع الشعوب، الذي أحدثه الإعلام التلفزيوني ، يشهد عليه نائب الرئيس الأميركي الأسبق آل جور بقوله: "فجأة وفي جيل واحد، قام الأميركيون بتغيير حاد في نمط حياتهم اليومي، وبدأوا بالجلوس من دون حراك وهم يحدقون في صور تتحرك في شاشة لمدة تزيد عن 30 ساعة كل أسبوع. فالتلفاز لم يستحوذ فقط على النصيب الأكبر مما يخصصه الأميركيون للأخبار والمعلومات من وقت واهتمام، بل شرع في الهيمنة على النصيب الأكبر من المناخ العام كلياً".

كما أن الرموز الإعلامية قد أسبغت ثقلاً كبيرا على الساحة السياسية في بعض اللحظات الحاسمة. فمثلاً، ذكرت بعض التقارير أن انضمام المذيعة الشهيرة أوبرا وينفري إلى حملة الرئيس الأميركي السابق باراك أوباما في عام 2008م قد ضمن له ارتفاعاً في نسب التأييد بحدود 15-30%. و زيادة على ذلك فإن التقارير الإعلامية الإيجابية التي أعدتها المحطات والشبكات التلفزيونية الأميركية الكبرى مثل CBS و ABC وNBC قد رجحت كفة أوباما ضد منافسه جون ماكين ولا يقتصر تأثير التلفاز بالناحية السياسية فحسب، بل إنه يمتد في المجالات الإجتماعية والقيمية كذلك، فالتأثير الأخطر للإعلام يتمثل بأنه يساهم بدرجة كبيرة في تشكيل إدراكنا للواقع.

إذن جعل الجمهور المستهدف أسيرا لما تنشره وسائل الإعلام باعتبارها مصدرا موثوقا لا يكذب، و لكنه لا يقدم تصورا دقيقا للواقع، لأنه للأسف يتحرك في غالبه بدوافع تتعلق بمن يموله وليس بمن يشاهده، لذلك فإنه يقدم للمشاهد: صورة محرفة عن الواقع:
"إن أغلب وسائل الإعلام لا تتوقف عن خداع الجماهير لحظة واحدة، سواء أكانت تلك الوسائل منصة يتحكم بها: السياسيون أم رجال الأعمال".

والقاعدة الأولى في هذا السياق: "من يدفع للزمار..يختار اللحن"

إن تكلفة القناة الإعلامية هي حوالي 2 مليون دولار سنويا، ومن الممكن أن يرتفع ذلك الرقم ليصل إلى عشرات الملايين من الدولارات في حال كانت القناة كبيرة بقدر ما، وأن تكلفتها تزيد على إيراداتها، فمن يدفع الفرق؟ إن الفائدة هنا تتمثل بكوننا لا نتحدث هنا عن سوق للأعمال الخيرية، بل عن مصالح اقتصادية وثقافية وسياسية، يرى أصحابها أنها تستحق أن يدفعوا لتحقيقها المبالغ الطائلة من أجل التحكم في الرأي العام، إذن نحن نتحدث عن "إعادة توجيه"، وعن "توليد سلوكيات" لم تكن موجودة، وعن "تغيير قناعات"، وهذه العملية برمتها تسير بحسب "بوصلة الممولين" وليس "خريطة مصالح الجمهور أو هويته أو قيمه"، وهذا هو ما نطلق عليه "الخداع".

والسر وراء الإعلام أنه يكمن في مزيج ثلاثي يضم ثلاثة أركان :
المال و السياسة و الإعلام.

حيث توجد حالة تماهٍ قائمة ما بين المال والسياسة والإعلام. فكل ركن من هذه الأركان، يحتاج إلى الأركان الأخرى، فرجال الأعمال يحتاجون إلى السياسيين لتمرير القرارات الاقتصادية ذات النفع لهم.

أما السياسيون فيحتاجون إلى المال اللازم لإنجاح برامجهم الانتخابية، ليصلوا إلى مقاعد النفوذ والحكم، والطرفان (رجال الأعمال والساسة) يبحثان عن الوسيلة الإعلامية التي تؤثر بالجمهور، وتقنعه بتنفيذ مخططاتهم النفعية.

و مثال على ذلك: جاك أبراموف، الملقب بصانع الملوك.
فقد قام أبراموف بتأسيس شركة هدفها التنسيق ما بين أصحاب الاستثمارات ورجال الأعمال والشركات الكبرى، في سبيل اختيار مرشح سياسي واحد في الانتخابات، حيث تم تحديد ما تطلبه كل شركة أو مؤسسة من المرشح، وكيف ستستفيد تلك الجهات المختلفة من انتخابه، وكيف يتم ضمان عدم تعارض تلك المصالح مع بعضها الآخر.
وكان أبراموف يقوم بتلميع ذلك المرشح إعلامياً، وكان يقوم بدفع تلك التكلفة من أموال الشركات والمؤسسات المساندة له، وبمرور الوقت بلغ نفوذ أبراموف مبلغا عظيماً، حتى قيل إنه كان يوزع مقاعد الكونغرس في مكتبه، وأنه كان يدخل البيت الأبيض ويلتقي كبار المسؤولين في أي وقت يريد.

إذن التماهي الحادث ما بين السياسة والمال والإعلام، قد أدى إلى ظهور ما يمكن تسميته "بتغيير الولاء"، إذ أن الإعلامي قد صار يبحث عن المال والنفوذ، بغض النظر عن أي معايير أخلاقية أو قيمية، وهو ما جعله يشبه لاعب كرة القدم المحترف الذي قد يترك الفريق الذي يلعب فيه، وينتقل إلى فريق آخر في حال وجد عرضاً مالياً أفضل.
الفاعدة هنا : الولاء لمن يدفع .

(وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ ۖ واللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ) الانفال (30)

دور المرأة في الدفاع عن قضايا الأمة

د. هيفاء سليمان الإمام - أستاذة جامعية
و رئيسة تحرير مجلة وميض الفكر

مقدمة :

شكلت الحركة النسائية أحد مكونات حركات النضال الساعية باستمرار للتصدي لكل وضع استبدادي، ووضع تحجيم الحريات والحقوق، وأصبح وضع المرأة من القضايا المحورية في مسلسل الإصلاح والتغيير. ويرى المحللون بأن التقدم الإجتماعي لأي مجتمع مرتبط إرتباطا وثيقا ومباشرا بتقدم المرأة وتحريرها من كل العوائق. لذلك فإن شعوب المنطقة بحاجة ماسة إلى إعادة النظر بالمفهوم الذي يعتبر المرأة أقل من الرجل ولا يجيز لها التعبير عن رأيها أبدا، و كذلك توعية النساء المربيات بضرورة ان يربين جيلا من الذكور و الإناث قادرا على تصور المرأة كشريك في الحياة والوطن وفي كل ما يحدث على الساحة السياسية والوطنية وفي كل شيء وأن يكون هناك احترام متبادل و بلا نظرة دونية.

وقد حفل الوطن العربي بالعديد من الرموز النسائية اللواتي ناضلن من أجل استقلال بلادهن وشاركن في العمليات الفدائية، بل هناك من قدمن أنفسهن إلى الموت في سبيل الوطن وسبيل القضية التي يناضلن من أجلها .

المنطلق الديني لنضال المرأة

باعتبار أن تشريعات الدين هي الصياغة القانونية لقواعد الحياة والطبيعة الإنسانية، لم تشرّع لمصلحة فريق أو فئة من دون غيرها، لأنها أساسا تنطلق من نظرة واقعية تكوينية تقوم على الإيمان بوحدة النوع الإنساني، وبأن الناس ينتمون إلى أصل بشري واحد وبأن حقيقة الإنسان هي بروحه التي لا تخضع - للمذكر والمؤنث- وليست بجسده الذي ليس إلا وسيلة، قال تعالى في كتابه الكريم: "يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة...."(سورة النساء، أية:1). و قال سبحانه: "يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم"(الحجرات، أية: 13)، و في القرآن الكريم "المؤمنون والمؤمنات

بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر"(التوبة، أية: 71)، وإن المعروف كما عرفه الفقهاء هو كل ما أوجبه الإسلام من تبليغ الرسالة إلى إقامة العدل في كل الميادين، وإن المنكر -الذي نهى عنه- هو كل فساد.

وعليه فإن فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا تجيز للمرأة التقاعس عن دفع المنكرات في المجتمع بأنواعها وإقرار الخير وإقامة المعروف وأنه بوساطة هذه المسؤولية الكبرى تكرّس دور المرأة وأعطيت كما أعطي الرجل موقعا أساسيا في ملاحظة وإدارة الوضع الإجتماعي والثقافي والسياسي.

وبهذا الوضوح خاطبت التعاليم الإلهية المجتمع الإنساني عاملة على انتشال المرأة من محدودية موقع الأنثى لتدفع بها إلى الأفق الأرحب كإنسان وتجعلها تشارك الرجل المسؤولية عن النفس والناس، غير أن هذه الصورة انكفأت مع عصور الإنحراف والفساد والظلم.

المرأة اللبنانية أثناء العدوان الصهيوني:

من نافل القول ان هناك نساء رائدات من مثل لولا عبود وسهى بشارة وسناء محيدلي وغيرهن كثيرات عبّدن الطرق الوعرة أمام كل امرأة ترفض ان تأخذ طرف الحياد او اللامبالاة امام قضية مقدسة تعنيها بالشكل المباشر، فقررت كل واحدة من النسوة المذكورات أعلاه مشاركة الرجل في ردع العدوان عن وطنها، ويمكن القول هنا أن انعكاس الإسلام كنهج على جدّية حركة المرأة في لبنان قد اشتد فعلياً مع بدء الإجتياح الصهيوني عام 1983م ، فالمرأة أثناء هذا العدوان نهضت لتدق باب الجهاد بكلتا يديها مستعيدة مع المبادرة الذاتية وازع الإلتزام الديني، زيادة على الالتزام المبدئي والوطني، لذا مضت واثقة من صحة مسارها، تدفع الشدائد والمصاعب والمحن بإرادة أبية وصبر قل نظيره. فكان أن أعطت بسخاء، وبذلت من التضحيات ما لا حدود له، وسعت بقوة منذ اللحظات الأولى للإجتياح لعدم تمكين العدو من اقتناص ما بيدها من فرصة وجهد، مفوتة عليه ما تمنى من مظاهر الإحباط واليأس، راسمة بوعي حركة نشاطها الدائبة صورة فذة عن تكامل الأدوار، ومواكبة نضال المجاهدين إخوة كانوا أم أبناء أم ازواجا. فهي معهم وبينهم ومن حولهم تساعدهم وتمدهم وتعينهم، وهي هناك تراقب وترصد لإفشال عمليات الدهم المفاجئ، مندفعة مع صغارها إلى الساحات العامة للإعتصام والتظاهر، مواجهة بالحجارة إقتحام اليات العدو على مداخل البلدات والقرى، عاملة على صب الزيت المغلي على رؤوس الغزاة من أسطح المنازل، زيادة على رمي أواني الزرع من الشرفات، محدثة حالة إرباك هائلة أمام تحركات العدو، وقد عبر - دايان- عن واقع الحال بقوله "بدخولنا إلى لبنان أخرجنا المارد من القمقم"، وقال أحد رجالاتهم العائدين عام 1983م "لقد كنا هناك وكأننا على كوكب اخر لا ندري كيف نواجه ما يحدث من حولنا".

وبقدر ما أضاء جهاد المجاهدين فضاء مجتمعاتنا، وأعاد حشد الذاكرة بصور وشعارات وثوابت تؤكد على ديمومة الصراع مع العدو، وحتمية الانتصار عليه مع التوحد والإعداد، فإنه أيضا أعاد تشكيل وتمتين الضوابط والروابط والعلاقات والصلات الحميمة بين عناصر المجتمع بشكل عام

وأفراد العائلة بشكل خاص، مرتفعا بالجميع من صغائر الأمور - التي شغلت كثيرين- إلى كبارها موجدا ذلك اللون البديع من التكامل في الأدوار بين الصغار والكبار والرجال والنساء. التكامل الذي تصان به طاقات الوطن، وتتحول الأسر إلى قلاع منيعة من الصعب اختراقها. فالمرأة مع الإلتزام بتعاليم الإسلام نهضت وهي أكثر إدراكا لعدوها ولدورها وأكثر تحسسا لمسؤولية الجهاد كتكليف شرعي، و باتت تعي أن واجبها في حال الجهاد الدفاعي أن تنهض بما لديها من وسائل وأسباب لتحطم طغيان هذا العدو، عاملة على تحقيق أعلى درجات الحيطة والحذر لكل ما يحدث من حولها وصولا إلى تحصين الأسرة من الإختراقات .لذا فإن هذه المرأة لم تقف في وجه زوج أو إبن أو أخ، وإنما كانت المحفز والساعد الأيمن له. وما قدمته المرأة اللبنانية من تضحيات سيبقى أمثولة في التأريخ المعاصر، باعتبار ان حضورها لم يكن إستعراضيا أو إعلاميا، ولذا تعددت نشاطاتها في ضوء الحاجة، و في أدائها انتقلت من دائرة إلى دائرة، ومن شريحة إلى أخرى، ومن عمل إلى غيره ساعية باستمرار إلى تطوير أساليب نشاطها.

دور المرأة العربية في حركات النضال الوطني:

لقد برزت المرأة في البلدان العربية إلى جانب الرجل في حركة التحرر الوطني وقدمت التضحيات الكبيرة في حقب النضال ضد المستعمرين والمحتلين الأجانب، من مثل رحمة حموش المغربية، و جميلة بوحيرد الجزائرية، و ليلى خالد الفلسطينية وغيرهن كثيرات، كما وساهمت المرأة في المعارك التي خاضتها الجماهير من أجل الاستقلال والحرية، ونظمت النساء العربيات صفوفهن وشكلن المنظمات النسائية والاجتماعية غير مباليات بالتقاليد التي ربما تحول و ذلك، و سعت النساء العربيات الى الحصول على حقوقهن المشروعة في الحياة، وتكلل نضالهن بنجاح ملحوظ في بعض البلدان العربية بالحصول على الحقوق ، على العكس من بلدان أخرى، حيث لا تزال المرأة تناضل وتسعى من أجل نيل المزيد من الحقوق المشروعة.

وعلى العموم يرى المحللون والمثقفون ورجال الفكر، أن الثورات قد ساهمت في تقوية و ترسيخ حقوق المرأة، طالما أن المرأة قد ثارت وساهمت وشاركت في أعمال الثورات في أماكن عدة, ومثال ذلك الثورة الفرنسية عام 1789م التي ساعدت على تحرر المرأة ، وما تلتها من ثورات في مناطق عدة ، و أيضاً دور المرأة العربية في ثورة عرابي وثورة سعد زغلول في مصر 1919، والثورة السورية على الفرنسيين، و الثورة الليبية على الإيطاليين بقيادة عمر المختار، والثورة الجزائرية والمغربية والتونسية على المحتل الفرنسي و الأسباني ايضا، وهي ثورات عربية أعطت دروسا لا تنسى للغزاة، وهنا نتذكر بالتقدير و الاكبار الثائر موحى أوحمو الزياني في جبال الأطلس ، حيث شاركت النسوة في ثورته في جمع التبرعات و التمريض و في تنظيم الأجتماعات لنصرة الثورة.

كما ينبغي ألا نتجاهل ما تركته ثورة 23 يولية 1952م في مصر من تأثير بالغ بتأهيل وتمكين للمرأة من خوض الحياة السياسية, وهذا جزء يسير مما قدمته هذه الثورة و ما قامت به في المجالات عامة ليس في

مصر فحسب، بل في عموم الوطن العربي، مما أدى إلى تنامي دور الحركة العربية ضد الاستعمار، و كان له صدى و انعكاس بالغ الاهمية على الحركات الثورية في انحاء العالم.

وفي إطار النهج العصري و التقدمي لثورة 23يوليو ، كانت النظرة إلى المرأة باعتبارها شريكا للرجل في البناء الاجتماعي والسياسي، خاصة وأن الإيمان بتحرير المرأة ومساواتها للرجل كان شعاراً ثورياً اتسمت به سنوات الستينيات من القرن العشرين بعد أن قادت ثورة 23 يوليو في مصر حركة البناء الاجتماعي وفسحت المجال للمرأة في بناء المجتمع، و لم تبق الفرص الوظيفية مغلقة أمام المرأة ابتداءً من مهنة التدريس والسكرتارية مروراً بالمهن الإعلامية وانتهاءً بانخراط المرأة في مجال المهن العسكرية ، فاصبحت شرطية في المرور، أو ممرضة برتبة عسكرية. ولا ننسى هنا المرأة الفلسطينية وتألقها البطولي فى حركات الكفاح الوطنى ضد الأحتلال الصهيونى، وعلى رأسهن المناضلة الفلسطينية "ليلى خالد "، وحتى بعد حصول الدول العربية (في شمال إفريقيا و في الشام) على استقلالها الشكلى، لم تبق النساء في وضعية المتفرجات على المسار السياسي الاجتماعي لمجتمعاتهن، و لا في موقف الانتظار حيال ما يجري من أحداث طيلة هذه المدة، بل كانت الحركة النسوية حاضرة بقوة في كل الحقب ، حيث المرأة أصبحت شريكة الرجل في ميادين عدة فلم يعد دورها يقتصرعلى كونها زوجة وأم، بل أثبتت مكانتها في ميادين شتى كانت حكرا على الرجل، و أعطت مشاركتها نتائج مذهلة في قيمتها و نفعيتها، فهل يمكن أن ننسى الثورية المصرية "صفية زغلول" التي ناضلت ضد الأنجليز و المناضلة الجزائرية "جميلة بوحيرد"، والفلسطينية "دلال المغربي" واللبنانية "سناء محيدلي" والعشرات لا بل والمئات غيرهن اللواتي سقطن في مذابح الحرية.

الخاتمة:

بعد تناولنا دور المرأة في مجال الدفاع عن الامة و مشاركتها الفعالة في حركة التحرر الوطني العربي والنضال الثوري، فلابد أن يكون هذا الدور معترفا به من اجل مساواة النساء بالرجال، باعتبار ان الجميع ابناء مجتمع واحد، و لكي ينهض المجتمع لابد من ان تتكامل الأدوار بغض النظر عن جنس الفرد الواحد، و من دون تجاهل دورعلى حساب الآخر، ويجب ان يتذكر كل واحد من ابناء المجتمع بأن الذكر مثل الأنثى وان اختلف الجسد، فهذا الاختلاف لا يعني نقصانا في الفكر اوخفة في العقل، أو ضعفا في الانتماء لوطن واحد وكيان واحد.

و بالنظر الى ان موضوع مقالنا هذا هو دور المرأة في الدفاع عن الأمة ، فقد اوضحنا ان المرأة العربية لم تكتف بالعمل و الابداع فى جميع مجالات الحياة اليومية، بل انها شاركت مشاركة فعالة في العمليات العسكرية والفدائية، و بأنها قادرة على أن تحمل السلاح وتطرد العدو من اجل تحرير الوطن، كما اتضح فى بطولات الكثيرات من النساء العربيات في تاريخنا الحديث' فالوطن الذى نشأ به الرجل نشأت به المرأة أيضا, و لهذا آمنت النساء بأن حماية الأرض والنضال من أجل الحرية واجب وشرف على الرجل و المرأة على حد سواء "لا ترحلى قبل أن تقدمى شيئاً رائعاً للإنسانية". وعلى وفق ما تقدم نؤكد على انه لا يجوز لأي

كان أن ينكر على المرأة مشاركتها الفاعلة و المؤثرة بالثورات عموما، و الحركات التحررية العربية ضد الاستعمار و الصهيونية خصوصا. و نرى أنه تقع على المرأة مسؤولية الحفاظ على تأريخها وتدوينه و بيان مساهماتها في المجالات كافة بوساطة كل الوسائل الاعلامية المتاحة بما فيها الالكترونية والورقية و غيرها. ولأجل ذلك فعلى النساء، وخصوصا المهتمات ببيان دور المرأة و أهميته، أن يباشرن الكتابة و توثيق مشاركة المرأة العربية و ما قامت و تقوم به من انشطة متنوعة خدمة للتأريخ و حفظا له لتطلع عليه الاجيال الحاضرة و القادمة مستقبلا، وحتى لا تفوتهن الفرصة كما حدث لنساء شاركن في الثورات الاوروبية و غيرها.

بعد أن ثبت إن انخراط النساء الفاعل في الثورات وفي الحراك العام يؤكد على وجودهن، ويبرهن على مقدرتهن، ويعبر عن الإرادة الحقيقية لدى النساء بالتغيير وخلق واقع جديد لمجتمعاتهن بما يحقق ويلبي طموحات وآمال المجتمع عموما و النساء خصوصا، و هنا لا يفوتنا التأكيد على ضرورة العمل على تأهيل النساء كقوة فاعلة و منتجة في المجال التنموي، كما في المجال السياسي، حيث نرى انه يتوجب ان ينخرطن أكثر فأكثر بالعمل السياسي بالنظر لأهميته في العمل الوطني لصالح افراد المجتمع كافة، ولا يتركن الساحة السياسية العربية، بل يفترض ان يتقاسمنها مع الرجال فاليد الواحدة لا تصفق.

المراجع:

1. اسمهان العلس، المشاركة السياسية للمرأة في ظل الادارة البريطانية في عدن، النساء والسياسة، طبعة اولى، 2005، نشر منتدى الشقائق العربي لحقوق الانسان.
2. صحيفة النور/ جزء14/ ص11.
3. صلاح الأمام، "أشهر الثورات في التأريخ"، دار نشر مكتبة الجزيرة ، مصر ، 2010.
4. خالد البسام، "نسوان زمان"، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، عمان ، 2010 .
5. كمال المنوفي،" المرأة المصرية مسيرة نضال"، المجلس القومي للمرأة، القاهرة، 2014 .
6. نوال السعداوي، " المرأة والدين والأخلاق"، دار الفكر المعاصر ، دمشق، 2000.
7. سمر هواش، "إشكاليات العمل النقابي في فلسطين"، مركز الديمقراطية وحقوق العاملين، رام الله، 99، ص 141.
8. حمود خالد ، "المشاركة السياسية للمرأة"، مؤسسة التنوير للتنمية المجتمعية ، 2012 .
9. محمد بودواهي ، "نضال المرأة، الماضي والأفق المفتوح " ،موقع الحوار ،2013، على الرابط :http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=29839

من يكتب بلغة أجنبيـة

د. رشيد معطي - أستاذ جامعي من لبنان - محاضر في جامعات لندن

يتفق الأمر أحياناً أن ينبغ امرؤ بلغة غير لغته الأم، أي غير لغة قومه، فيكتب بها و يترك آثاراً مرموقة شعرا أو نثرا، و في مختلف الفنون الأدبية. حصل هذا في الماضي، و يحصل في الحاضر، بل هو حاصل و موجود في كل زمان و مكان. و الأمثلة فيه و عليه عديدة. في لبنان منه أكثر من نموذج. فكثير من اللبنانيين مثلاً برعوا باللغة الفرنسية، أو غيرها، و أنتجوا أدبا لا بأس به.

من مدة، كنت أتصفح "مجلة الأفكار" اللبنانية، فاستوقفتني صفحة مصورة لأمسية شعرية للشاعر المبدع صلاح ستيتية بعنوان "أرض الإنسان...أرض الشعر". قصائدها كانت بالفرنسية، و النائب الدكتور مروان فارس نقل كلمات الشاعر العالمي إلى اللغة العربية، و قام بتقديم الأمسية الشاعر هنري زغيب.

بعد ذلك ، قرأت في مجلة "الأسبوع العربي"، خبرا عظيم الوقع بعنوان "أمين معلوف خالد بين الخالدين! لبنان يكرمه: بأرفع وسام، و طابع بريدي، و ليرة من فضة نقش عليها اسمه". و جاء في المجلة:"بردائه الأخضر و سيفه المزخرف برموز ثقافته المزدوجة من صورة ماريان، رمز الثورة الفرنسية، إلى أرزة لبنان، إلى منحوتة تمثل خطف زوس للآلهة الفينيقية أوروبا، دخل الروائي اللبناني الصرح الأكاديمي الفرنسي العريق، مطالبا بتقارب الشرق و الغرب الذي طالما شكل حجر أساس أعماله، وسط مراسم مهيبة، و مظهر احتفالي اعتادته الأكاديمية مع دخول كل عضو جديد إلى صرحها". و معلوف هو أول فرنسي من اصل لبناني يحظى بشرف انتخابه في 22 حزيران 2011 لعضوية الأكاديمية الفرنسية، و مما قاله:"اليوم هناك جدار في المتوسط بين الفضاءات الثقافية التي أنتمي إليها (...) طموحي هو المساهمة في هدمه.

و لطالما كان هذا هدف حياتي و كتابتي، و سأواصل السعي إليه إلى جانبكم، تحت نظر الفيلسوف العريق كلود ليفي ستراوس العاقل الذي أخلفه."

و هنا، نحن لا نشك بعبقرية السيد معلوف، و أنه برأي الكثيرين، مجد لبنان، و أهل لدخول الأكاديمية الفرنسية، لبراعته الفائقة في كتاباته

باللغة الفرنسية. لا نشك كذلك بنبوغ الشاعر العالمي بالفرنسية السيد صلاح ستيتية، أحد كبار الدبلوماسيين اللبنانيين، و أنه صوت ذو إيقاع موسيقي نادر". لكن، ليسمح لنا في بعض الملاحظات، حيث لنا أفكارنا المتواضعة، على الرغم مما يحيط من هالات العظمة بالعديد من الكتاب الذين ينبغون باللغات الأجنبية.

أول ما نلاحظه أن أدب هؤلاء الكتاب هو أدب اللغة الأجنبية التي كتبوا أو يكتبون بها، لا أدب لغتنا العربية: فالأدب، أي أدب، هو إرث اللغة التي كتب بها. "الأدب العربي" مثلاً، تكونت آثاره من مؤلفات أمم و شعوب عديدة كتبت باللغة العربية، حسبما جاء في كتاب "النهج الواضح في مبادىء الأدب و فنونه" لمقدمه الراحل فؤاد أفرام البستاني.

و جاء في كتاب "أدباء العرب" لبطرس البستاني"من الأعاجم من أتقنوا اللغة العربية، و برعوا فيها، ومنهم الكتاب و الشعراء، و الفقهاء و المحدثون"، و الكتاب نفسه يذكر ان :"أكثر الشعوب التي اختلطت بالعرب أتحفوا اللغة العربية بكنوز ثمينة، كانت العون الأكبر في نهضة العلوم و الآداب. من هؤلاء الكتاب و الشعراء الأعاجم نذكر على سبيل المثال لا الحصر: ابن المقفع الفارسي الأصل، و إسمه الأصلي روزبه بن داذويه، كتب بلغة عربية صافية فأغناها بالأفكار و التصورات، خصوصاً بتعريبه لكتاب:"كليلة و دمنة". و منهم بشار بن برد، و ابو نواس و هما فارسيان، و ابن الرومي و هو رومي الأصل لجهة أبيه، فارسي لجهة أمه، و قد أغنوا الأدب العربي، كما يعلم الجميع، بقصائد خالدة. و بالتالي فإن الكاتب يعزز و يغذي آداب و تراث اللغة التي يكتب بها، مثلما يعزز و يغذي أمتها و تاريخها.

أليست اللغة أولى الركائز و المقومات التي تصنع الأمة، أية أمة؟ و كذلك التأريخ، و العادات و التقاليد و الدين و اعتبارات أخرى؟ إن أول ما تباشره الدول المستعمرة هو البدء بتعليم لغتها إلى من تستعمرهم، حتى تنقل إليهم تراثها و حضارتها و كامل ثقافتها فيصبحوا جزءا منها آخذين بالذوبان و الانصهار فيها و في حضارتها، أو يصبحوا على الأقل أتباعها و أتباع ثقافتها جيلاً بعد جيل، و كم من الأقوام أضاعوا تاريخهم و هويتهم نتيجة الاستعمار الثقافي، يخترقهم عن طريق لغته، لتنافس لغتهم الأم التي هي، كما أشرنا، أهم دعائم كينونتهم و وجودهم في هذه الدنيا.

إن الذي يفقد لغته الأم، لغة آبائه و أجداده يصبح غريباً عن أمته شاء أم ابى، لا محالة. و قد يصبح فريسة تراث اللغة الأجنبية، و ما فيه من عداوة و نقائض لتاريخ قومه، ويتبنى عندئذ و من دون أن يدري، ما فيه من نظريات و فلسفات و وجهات نظر، علماً بأن المرء ليس بلونه و جسمه، و إنما هو بمحتواه الثقافي و الفكري و الحضاري، من غير أي جدال!. و المرء عندما ينأى عن لغته الأم، قد يتسبب بضعفها ثم بهدمها و انهيارها، و ربما بمواتها و زوالها لأن اللغة إنما تنهض و تزدهر بما يصب فيها من فكر و علم و معرفة و فن، أي من ثقافة على وجه العموم!

و اللغة العربية، بعدما اعتراها الجمود و اعترى عطاءها في بعض حقب العهد العثماني، عادت تنتعش بفضل مسارعة أهلها إلى إنهاضها من كبوتها. و هذا ما فعله مثلاً في لبنان اليازجيون، و

البساتنة منذ القرن التاسع عشر. لكن الاستعمارين الفرنسي و الإنكليزي عادا فأضعفاها إلى حد ما، لأن طاقات الأجيال صارت موزعة بين اللغتين الدخيلتين المتنافستين في مدارس و شوارع الوطن.

وكل لغة تريد أن تثبت وجودها، و أن تستأثر بنشر حضارتها في نفوس النشء. و قد احتدم الصراع الثقافي هذا بين فرنسا و الولايات المتحدة الأميركية، فاختلط بالصراع الاقتصادي بينهما، ثم بصراع سياسي نجمت عنه جولات قتال و أزمات، لما تزل تلقي بثقلها على مرافق البلاد حتى أنهكتها بالشلل متسببة بشقاء الشعب و تعاسته.

و قد نشأ جيل لا يحلو له التحدث إلا بالفرنسية أو بالإنكليزية، أو باللغتين كلتيهما، ثم بعض الأحيان، يؤلف بهذه أو بتلك الكتب شعراً و نثراً، متباهياً و منصرفاً كل الانصراف تقريباً عن اللغة العربية، إما احتقارا لها، و إما تقليلاً من شأنها و أهميتها. و ربما جرى اللغط على ألسنة المتكلمين بالفرنسية أو بالإنكليزية، بأن اللغة العربية صعبة و معقدة، و لم تعد قادرة على مماشاة العصر و اكتشافاته و تقنياته. فراح فريق يدعو إلى تكريس اللهجات العامية، و آخر إلى إهمال القواعد خصوصاً النحو منها، و ثالث إلى كتابتها بالحروف اللاتينية، و رابع... و خامس... و جميع هذه الدعوات تهدف إلى إقصاء اللغة العربية الفصحى و القضاء عليها.

و الواقع أننا لسنا ضد تعلم و تعليم اللغات الأجنبية، كوسائل تفاهم و تواصل بين الأمم، و لكننا صرنا نخشى أن نفقد ذواتنا، بل لعل بعضا منا أن يكونوا قد فقدوا هذه الذات، و أصيبوا بداء انفصام الشخصية، و لا سيما الذين انبهروا بآداب اللغات الأجنبية و فلسفاتها و تاريخها، و طبعاً بقوالب تعبيرها، ثائرين بعنف على التراث الثقافي العربي و معتبرينه رجعياً قد درس و انتهى أمره و أكل الدهر عليه و شرب.

و الواقع أيضا أننا، من جهة مقابلة، لسنا ضد ما تعطينا اللغات الأجنبية من معارف علمية و رياضية و تقنية. فهذه المعارف لا شك مشتركة بين الأمم، و لا تشكل أيه خصوصية حضارية ذات خطر على مصير الأمة و كينونتها. لذلك، كان لا بد من التمييز دائماً بين المعارف الأجنبية ذات الصبغة الحضارية المعينة، و بين المعارف المشتركة التي أشرنا إليها.

ونحن لو عدنا إلى الوراء القهقرى و استقرأنا التاريخ، لوجدنا أن أمتنا لم تنقل عن لغات الآخرين سوى أمثال هذه المعارف المشتركة. أخذتها فطورتها فكان أخذها عاملاً إيجابيا من عوامل النهضة و التقدم و الازدهار، في حين أنها ضربت صفحا عن معارف الأمم الأخرى ذات الصبغة المعينة التي تخص حضارتها و وجهة نظرها في الكون و الإنسان و الحياة، و ما قبل الحياة و ما بعدها.

وأمتنا مثلاً لم تنقل أدب الملاحم كونه يقوم على الوثنية، و لا نقلت القانون الروماني، و استمرت لحقبة طويلة لا تأخذ بالمفاهيم و المصطلحات الأجنبية الغربية عن حضارتها لذلك لا بد من الحذر من هدم الجدار الذي أشار إليه السيد أمين معلوف. إن غير العرب الذين كتبوا باللغة العربية أغنوا آداب هذه اللغة، كما سبق و ذكرنا. فأصبح لها تراث واسع طويل عريض اشتركت بصنعه و بلورته شعوب من أعراق شتى آمنت بالدين الجديد، و أطرت عطاءاتها بإطاره و حدوده و وجهة نظره.

بينما في عصرنا يهرع العديد من أفراد أمتنا إلى التأليف باللغة الأجنبية، علماً بأن الشهرة التي يتفيأون ظلالها ليست شهرة للغتهم الأم، و لا لأمتهم، و لا لحضارتها و لا لتراثها. شهرتهم بتأليفهم باللغة الأجنبية هي، فقط كما أسلفنا، فخر و إغناء لهذه اللغة شكلاً و مضموناً. و أهلها يرحبون بالمؤلفين و الناطقين بها على حد سواء و يحيطونهم بكل أنواع التكريم.

يروي المرحوم الدكتور عادل إسماعيل قائلاً:"في عهد الانتداب الفرنسي للبنان، أقدم رئيس تحرير جريدة الأورينت في بيروت جورج نقاش على كتابة افتتاحية في صحيفته، هاجم فيها بشدة سياسة الانتداب، مما حمل مدير الأمن العام الفرنسي في لبنان على أن يوجه رسالة إلى المفوض السامي يطلب فيها موافقته على اعتقال جورج نقاش و إرساله إلى السجن و محاكمته بتهمة إثارة الشغب. فأشر المفوض السامي الكونت دي مارتيل على المذكرة طالباً حفظها. و لما سئل: لماذا لم تستجب لطلب مدير الأمن العام؟ أجاب دي مارتيل: من يتقن الفرنسية كجورج نقاش بمثل هذه البلاغة التي قد لا يتقنها الأكاديميون عندنا، لا يجوز أن يعاقب بالسجن".

من هنا نفهم اهتمام فرنسا الكبير و مغالاتها بمؤتمرات الناطقين كلياً أو جزئياً باللغة الفرنسية، أعني ما يعرف بالمؤتمرات الفرنكوفونية. و السيد صلاح ستيتية مثلاً و من نحا نحوه، لا شك أنهم عندما يكتبون باللغة الفرنسية، إنما يخدمون فرنسا، لا وطنهم لبنان حيث مسقط رؤوسهم و رؤوس آبائهم و أجدادهم. و مشكلة لبنان أنه يستمر معتبراً الأجيال المتسلسلة من جد لبناني، و التي مضى عليها في المهجر مئات السنين، يستمر معتبراً إياها لا تزال لبنانية، على الرغم من أنها تغيرت كلياً بلغتها و عاداتها و تقاليدها و طرائق تفكيرها، و أنماط عيشها، ثم نسيت تاريخها، أو بالأحرى صار لها تاريخ جديد مختلف كل الاختلاف عن ماضيها، و مغاير كل المغايرة عن صبغتها و معتقداتها و وجهات نظرها و استشرافاتها للأمور.

مشكلة لبنان أنه يعتبرهم فخراً له و ذخراً أممياً يتباهى به. و هم في حقيقة أمرهم، بعد مئات السنين و بعد غيابهم عن الوطن الأم هذه الحقبة الطويلة، فقدوا شعورهم بالانتماء إليه، و المشاركة بشؤونه في السراء و الضراء، و الأفراح و الأتراح، و أمسوا ثروة بشرية للبلدان التي آثروها و انضووا تحت علمها. حتى لو بقي شيء من هذا الشعور بالانتماء، فهو بعد عدة أجيال كذرة سكر في أوقيانوس لا تؤثر بتركيبه.

و لا يهمنا بعد ذلك أن يقال إن فلاناً نبغ في البلد الفلاني، و هو من أصل لبناني من الواجب تكريمه و التنويه باسمه و منحه الميداليات و الأوسمة... لا يهمنا كل هذا لأن ريعه، كم اشرنا سابقاً، يعود إلى الوطن الثاني، في حين لا يستفيد منه وطنه الأول إلا وهماً يتذوقه، و خيالاً يسبح فيه، و اضغاث أحلام!. أما القول إنه من أصل لبناني أو أصل عربي، فينطبق عليه عندئذ شعر أبن الوردي، زين الدين عمر (-1289 1348) الفقيه و المؤرخ و اللغوي الذي أنشد:

لا تقل أصلي و فصلي أبداً

إنما أصل الفتى ما قد حصل!

زكاة

أموالك .....

استثمار لآخرتك

دار الفتوى

صندوق الزكاة - البقاع

للإستعلام: 08622662

الحضـارة العربيـة والإسـلامية - الـرّازي نمـوذجاً

د.إيهاب علي الشموري - أستاذ جامعي من لبنان

يقول ويل ديورنت في كتابه قصة الحضارة: إن الحضارة تبدأحيث ينتهي الإضطراب والقلق لأنه إذا ما أمن الإنسان من الخوف تحررت في نفسه دوافع التطلع وعوامل الإبداع وحينئذ لا تنفك الحوافز الطبيعية تستنهضه للمضي في طريقه إلى فهم الحياة وإزدهارها .

و الحضارة هي تعبير عن كل إنجازات الإنسان الفكرية والوجدانية والعمرانية ليحقق ذاته ويحقق تقدم مجتمعه ويسهم في مسيرته الإنسانية ، لذلك تشمل مختلف أنشطة الإنسان كما توضح إسهام الأمم في إغناء وتنمية المجتمعات الإنسانية والرقي بها .

والحضارة في مفهومها الإسلامي تنطلق من رؤية مثالية للحياة ويذهب بعضهم إلى إعتبار الحضارة أسلوبا معيشيا يعتاد عليه الفرد، ومن الممكن تعريف الحضارة : على أنها الفنون والتقاليد والميراث الثقافي والتاريخي ومقدار التقدم العلمي والتقني الذي يتمتع به شعب معين في حقبة من التأريخ . إن الحضارة بمفهومها الشامل تعني كل ما يميز أمة من أمة في العادات والتقاليد وأسلوب المعيشة والتمسك بالقيم الدينية والأخلاقية ومقدرة الإنسان في كل حضارة على الإبداع في الفنون والآداب والعلوم . ثم يستتبع ذلك الإقامة في الحضر من تعاون وتآزر وتناول للأفكار والمعلومات في شتى شؤون الحياة ومما يتصل بتقدم الإنسان وترفيهه في مناحي الحياة المختلفة وهي مدى ما وصلت إليه الأمم من نواحي نشاطها الفكري والعقلي . وقد عرفها ويل ديورنت بأنها نظام إجتماعي يعين الإنسان على الزيادة من إنتاجه الثقافي .

عناصر الحضارة : يختصرها ويل ديورينت في أربعة: الموارد الثقافية ،التقاليد الخلقية، النظم السياسية،العلوم والفنون .

عوامل تكوينها كثيرة :

العوامل الجغرافية : الأمطار، المياه، التربة، الشواطئ.

العوامل الإقتصادية: الزراعة والصناعة.

العوامل الثقافية : تتناول الأفكاروالمعلومات

(عملية النقل والترجمة).
العوامل الدينية : وجود الدين يرفع الأخلاق إلى مستوى الإخلاص في العمل .
العوامل الأخلاقية :لا بد من وجود قيم أخلاقية تسود الجماعة .. (الأسرة و المدرسة و الجامعة)
العوامل النفسية: لا بد ان يشعر المرء بأن يسودهم نظام سياسي يشعرهم بأنهم مطمئنون على حياتهم ، ولا يتوقعون الهلاك عند كل منعطف في حياتهم .
العوامل الجيولوجية : ذات أثر يعتد به في الحضارة.. تزدهر مدينة فتصاب بزلزال ما .
التربية: تتوراثها الأجيال عن طريق التقليد أو التعليم أو التلقين والمعارف والفنون والأخلاق والعلوم . لأن هذا التراث هو الأساس .
وإنعدام هذه العوامل المذكورة اعلاه يؤدي إلى:
إنفلات جيولوجي ، وإنحلال أخلاقي، و تركيز الثروة في طبقة معينة ، والثورات الهدامة ، و الإفلاس المالي ، فإذا حدث إضطراب خطير في العوامل الإقتصادية فسوف يؤدي ذلك إلى إنهيار الدولة .

أصول الحضارة العربية والإسلامية :

القرآن الكريم والسنة النبوية هما الأساس للحضارة العربية والإسلامية .
الناحية الدينية: الصلاة . والصوم . والحج . والزكاة.
الناحية الإجتماعية والأخلاقية: ما يتعلق بمعاملات الناس . الحدود والقصاص والآداب الإجتماعية .
الناحية الإقتصادية :إن هدف الإقتصاد هو تحقيق الرفاهية للناس ، وإن الفكر الإقتصادي بصفة عامة هو جملة الآراء والمفاهيم المعنوية التي تؤثر بسلوك الإنسان تجاه الثروة وإنتاجها وتوزيعها .
القرآن الكريم أرسى القواعد الكلية لتنظيم الإقتصاد من مثل:
- مبدأ العمل و تحريم الربا والزكاة و الميراث و كيفية التعامل مع الأرض التي فتحت عنوة و غير ذلك.
الطب : عني العرب بالطب واستوحوا كتب من سبقهم من اليونان ثم عدلوها وصححوها و زادوا عليها، وعرفوا طب العيون واستخراج الماء الأزرق من العين ، وعرفوا أمراض الجدري والحصبة كما عرفوا أمراض الأطفال وتفتيت الحصى وعلاج النزيف بصب الماء البارد ،كذلك عرفوا الأمراض النفسية ودرسوا التشريح بتقطيع اجسام القردة وخيطوا الجروح بعد العمليات بمصارين القطط وهم أول من إستخدم البنج باستعمال نبات ست الحسن والزؤان والأفيون حتى يفقد المريض الوعي والإحساس .

واستفادت أوروبا في عصر نهضتها من العلوم الطبية عند العرب مثل علاج الحمى والتيفوئيد . وقد وجه العرب إهتمامهم في بناء المستشفيات وكانت اهم الأماكن التي يدرس فيها الطب وكان منها ما هو خاص ومنها ما هو عام .
وهم اول من أنشأوا مدرسة للصيدلة وأول من أوجدوا مخازن للأدوية والصيدليات وأقاموا الرقابة عليها وعلى الصيدليات .

وكان للأطباء نظام خاص يسيرون فيه ولم يكن القانون يجيز لإنسان أن يمارس صناعة الطب إلا إذا تقدم لإمتحان يعقد لهذا الغرض وبعد

دراسة واسعة في علم الطب وينال إجازة من الدولة تسمح له في ممارسة مهنة الطب . وقد نظم علي بن عيسى الوزير الطبيب جماعة من الأطباء يطوفون في مختلف البلاد ليعالجوا المرضى ، وكان هناك أطباء يذهبون كل يوم للسجون ليعالجوا نزلاءها ، وكان المصابون بأمراض عقلية يلقون عناية خاصة ويعالجون علاجا يمتاز من الرحمة والإنسانية .ولم يقتصر النبوغ في الطب على الرجال فقد نبغ عدد من النساء كأخت الحفيد بن زهر الأندلسي وابنتيها اللتين نبغتا في الطب وبخاصة في امراض النساء **و من العلماء العرب المشهورين اخترنا التعريف بالرازي .**

و هو عالم موسوعي من طراز فريد، يعد من أعظم أطباء الحضارة الإسلامية، وطبيب الدولة العربية الأول، وأحد مؤسسي علم الكيمياء الحديثة، برز في جميع فروع العلوم، وقدم للبشرية مؤلفات عظيمة فى الطب، والكيمياء والرياضيات، والأدب ... وغيرها، وقد ظلت مؤلفاته- خاصة في مجال الطب- مرجعا أساسيّا للأساتذة والدارسين على مدى قرون عديدة .

و "أبو بكر الرازي" ولد سنة (250هـ 864م) بمدينة "الري" بإيران حاليّا، وبدأ في طلب العلم في سن مبكرة فدرس الرياضيات والفلك والكيمياء، والمنطق، وعرف منذ صغره بالذكاء والنبوغ والتفوق، فكان يحفظ كل ما يقرأه أو يسمعه بسرعة مذهلة!

و لما بلغ الثلاثين من عمره رحل إلى مدينة "بغداد" عاصمة العلوم والثقافة حينئذٍ، فدرس الكيمياء، والفلسفة، لكنه اهتم كثيرا بدراسة الطب، وكان أستاذه في هذا المجال الطبيب "أبو الحسن علي بن سهل الطبري"، وظل "الرازي" "ببغداد" ينهل العلم من نبعه الصافي وموردة العذب حتى عاد إلى بلده مرة ثانية فأسندت إليه رئاسة مستشفى مدينة "الري"، ولم يمر على "الرازي" بهذا المنصب الكبير مدة طويلة حتى بلغت شهرته الآفاق، فاستدعاه الخليفة العباسي "عضد الدولة بن بويه" إلى "بغداد"، وأسند إليه رئاسة "المستشفى العضدى" فأداره بمهارة واقتدار .

ومضت الأيام والسنون، وأصبح "الرازي" شيخا للأطباء في زمانه، كما أتقن علم الكيمياء، وتفوق في الجانب التطبيقي لهذا العلم حتى أصبح من أبرز الصيادلة المسلمين على الإطلاق.

و يعد "أبو بكر الرازي" من أعظم الرواد الأوائل الذين قدموا للبشرية خدمات عظيمة النفع خاصة في مجالات: الطب، والكيمياء، والصيدلة، والفيزياء ما زالت آثارها الجليلة باقية حتى اليوم .

و نشير الى ما قدمه في مجال الطب والصيدلة :

- كان "أبو بكر الرازي" أول من فرق بين "الجدري" و"الحصبة"، وقدم وصفاً دقيقاً لهذين المرضين، وأعراض كل منهما .
- وكان أول من ابتكر خيوط الجراحة .
- وأول من صنع مراهم الزئبق.
- وأول من أدخل التركيبات الكيميائية في الطب.
- وأول من جرب الزئبق وأملاحه على القرود ليدرس مفعوله في أجسامها، وهو بذلك يعد من رواد البحث التجريبي في مجال الطب إذ كان يقوم بعمل تجاربه عن الأدوية على الحيوانات أولاً، ثم يلاحظ تأثيرها فيها، فإذا عالج المرض طبقه على الإنسان.

وأول من ابتكر وضع الفتيلة المعقمة في الجروح، وتغييرها من يوم إلى آخر.

- وكان من أوائل الأطباء الذين اهتموا بالعدوى الوراثية، حيث أرجع بعض الأمراض إلى الوراثة. ونادى "الرازي" أن يكون الطب أولاً لوقاية الناس من الأمراض، قبل أن يكون سبيلاً للبحث عن الشفاء والعلاج.

ومن أقواله المأثورة : إذا كان في استطاعتك أن تعالج بالغذاء فابتعد عن الأدوية، وإذا أمكنك أن تعالج بعقار فاجتنب الأدوية المركبة.

- وكان من أوائل الأطباء الذين اهتموا بأثر العوامل النفسية بعلاج المرضى، وكان يوصي تلامذته بأن يوهموا مرضاهم دائما بالصحة والشفاء فكان يقول : ينبغي للطبيب أن يوهم المريض أبدا بالصحة، ويرجيه بها، وإن كان غير واثق بذلك، فمزاج الجسم تابع لأخلاق النفس.

- واعتمد "الرازي" عدة وسائل فى مجال علم الطب السريري، و هو ذلك العلم الذي يهتم بمراقبة حالة المريض و هو يرقد في سريره، وتسجيل ما يحدث له من أعراض أوتغيرات في سبيل التوصل إلى تشخيص المريض تشخيصا صحيحا، ومن الوسائل التي اعتمدها "الرازي": مراقبة ما يحدث من أعراض للجلد والعينين، ومراقبة النفس، والحرارة، وجس النبض، وفحص البول .

- وابتكر الرازي طريقة فريدة في اختيار أفضل المواقع لإنشاء "المستشفيات" فكانت محل إعجاب وتقدير من الأطباء حتى يومنا هذا، وتتلخص هذه الطريقة في وضع بعض قطع اللحم في أماكن متفرقة مع ملاحظة سرعة انتشار التعفن فيها، وبطبيعة الحال تكون أنسب الأماكن من حيث نقاء الجو واعتداله هي أقلها فاعلية في انتشار التعفن باللحم .

و في مجال الكيمياء :

يعتبر العلماء "أبا بكر الرازي" مؤسس علم الكيمياء الحديثة، ويظهر فضله في هذا العلم بصورة واضحة عندما عمد إلى تقسيم المواد المعروفة إلى أربعة أقسام هي:

المواد المعدنية، والمواد النباتية، والمواد الحيوانية، والمواد المشتقة، كما قسم المعادن إلى ست طوائف بحسب طبائعها وصفاتها .

- وكان "أبو بكر الرازي" أول من ذكر حامض "الكبريتيك"، وأطلق عليه اسم زيت الزاج أو الزاج الأخضر، كما حضر في معمله بعض الحوامض الأخرى، وما زالت الطرق التي سلكها في سبيل تحضيرها مستخدمة حتى الآن.

- وهو أول من استخلص "الكحول" بتقطير مواد نشوية وسكرية مختمرة .

- وأول من ميز بين "الصودا" و"البوتاس"، وقام بتحضير بعض السوائل السامة من "روح الخل.

- وكان من أوائل العلماء الذين طبقوا الكيمياء في الطب، وأثر الأدوية في إثارة التفاعلات الكيميائية داخل جسم المريض.

وفي مجال الفيزياء :

انشغل "الرازي" بتحديد الكثافات النوعية للسوائل، وصنف لقياسها ميزانا خاصّا أطلق عليه اسم "الميزان الطبيعي"، ويرجع إليه الفضل في تقدير الكثافة النوعية لعدد من السوائل بواسطة هذا الميزان .

كما يعد من أوائل العلماء الذين انتقدوا نظرية "إقليدس" القائلة بأن الإبصار يحدث نتيجة خروج شعاع من العين إلى الجسم المرئي، وقرر أن الإبصار يحدث نتيجة خروج شعاع ضوئي

من الجسم المرئي إلى العين .

• مؤلفاته :

قضى "أبو بكر الرازي" معظم حياته بين القراءة، والتأليف، وإجراء التجارب حتى قيل إنه فقد بصره في أواخر أيامه من كثرة القراءة والكتابة، ومن كثرة إجراء التجارب الكيميائية في معمله، وقد صنف "الرازي" ثروة علمية هائلة في شتى صنوف المعرفة , وقد أحصى له بعض الباحثين منها نحو (148) مؤلفاً ما بين كتاب ورسالة، وذكر بعضهم الآخر أن مؤلفاته بلغت نحو (220) مؤلفاً، وقد لقيت بعض كتبه - الطبية خاصة- رواجا كبيرا، ونالت شهرة عظيمة، وترجم العديد منها إلى عدة لغات، واعتمدت جامعات أوروبا على كثير منها في التدريس، بل ظل بعضها المرجع الأول في الطب حتى نهاية القرن (18) الميلادي،

ومن أشهر مؤلفات "الرازي":

- كتاب "الحاوي"، وهو من أكبر مؤلفات "الرازي"، وأعظمها شأناً، وقد أمضى فى تأليفه نحو (15) عاما، وتتضح في هذا المؤلف الضخم مهارة "الرازي" في الطب، وتتجلى دقة ملاحظاته، وغزارة علمه، وقوة استنتاجه .

- وكتاب "الجدري والحصبة"، وكتاب "المنصوري في الطب"، و"الفاخر فى الطب"، و"من لا يحضره طبيب"، و"الحصى في الكلى والمثانة"، و"منافع الأغذية"، و"سر الأسرار"، و"شروط النظر"، و"علة جذب حجر المغناطيس للحديد" .. وغيرها.

• وفاته :

توفى العالم الطبيب "أبو بكر الرازي" في عام (313هـ = 925م) بعد أن تجاوز الستين من عمره.

وكان "أبو بكر الرازي" رجلا رقيقا، كريما، سخيّا، بارّا بأهله وأصدقائه ومعارفه، عطوفا على الفقراء والمحتاجين يعالجهم بلا أجر، ويتصدق عليهم من ماله الخاص فقد كان ثريًّا واسع الثراء، كما كان يجتهد في علاجهم بكل ما أعطاه الله من علم، وقد كان "الرازي" يراعي تعاليم الإسلام وحرمة جسم الإنسان في بحوثه وتجاربه , فكان يقوم بعمليات التشريح وتجريب الأدوية على الحيوان أولاً قبل أن يوصفها للإنسان، لكنه كان- مع ذلك- رفيقا بالحيوان أيضا، فقد وصف كثيرا من الأدوية التي تعالج كثيرا من الأمراض التي تصيب الحيوانات .

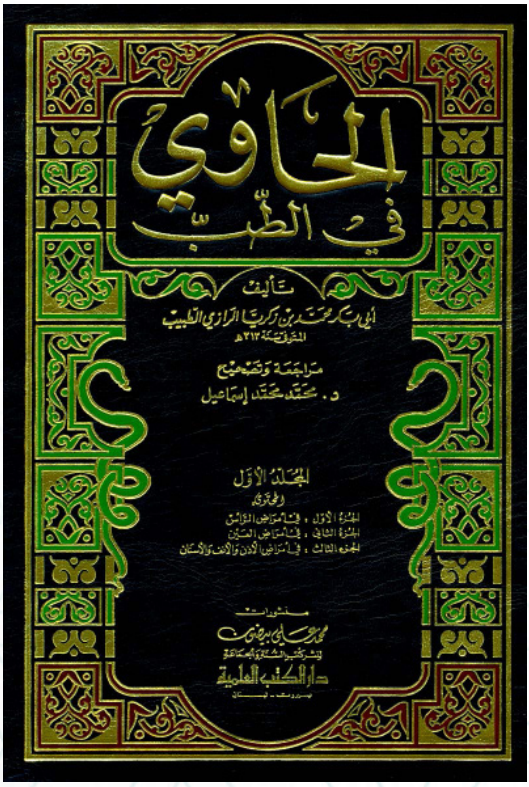

وجـدانيـــــات

د.أسماء القادري - كاتبة من لبنان

بسم الله الرحمن الرحيم
معذرة فقد طفح الكيل وغادر بعضنا الحياء منذ زمن، وليس في جعبتنا إلا الكلام وأي كلام!، وأنت ترى أمة تحتاج إلى التغيير، حتى باتت تناشد أجيالها أن كفانا إنحدارا وتقاعسا..

أمة نحاسب أفرادها على الجهل واللامبالاة، وتستيقظ لدى علمائنا نخوة الدفاع عن الدين عند الاحتفال بالمولد النبوي، فتتسابق الفتاوى ويعلو الصوت على المنابر وكأنهم يخاطبون مرتدا أو خائنا..معذرة فالتلوث في سلوكيات هذا الجيل أدهى من أن نهاجمه إن عبّر عن حبه لرسول الله صلى الله عليه وسلم، التلوث بات في حياتنا، في بيوتنا، في معتقداتنا لا نحمل غير الدمع لواقع مؤلم، و السؤال من سبب هذا الواقع المزري ؟ و المسؤلية على من؟..ومن يجب عليه القيام بالتغيير؟..على شباب تعتريه الرغبة ويفقد الدافع؟ أم على ملايين لا تعرف من دينها إلا أنها ولدت هكذا؟ و ها نحن نحفظ ما قال الله عزّ و جلّ عن الصلاة والصيام، نردده أمام التلفاز و عند المدفأة، وفي الطرقات تسير نساء ابعد ما يكن عن الحشمة و الستر، و قد انشغل بعضهن باللهاث وراء سوق الأزياء، ولربما لا يعرفن أن هذا هو الحرام، فمن سيعلم هذه النسوة أن ما يفعلنه حرام، و من يعظهن ان الحجاب ليس عادة عفا عليها الزمن، و لا هو عرف فاسد، بل ان الحجاب واجب على المرأة عليها الالتزام به .

و الآن دعونا نلقي نظرة على مجتمعنا الذي نراه بأمس الحاجة للتربية الإيمانية من جديد...بعد أن ألهتنا الدنيا والتفكير في مشاغل الحياة عن واجب مقرر على كل مسلم منا... فلنسأل أنفسنا متى كان آخر مجلس للعلم حضرناه؟، وما الذي حركه فينا؟...فالدعوة تحتاج لعودة إلى المساجد، لدروس دورية للعالم والفقيه قبل العامة..

وبعضنا يظن أننا نفعل ما بوسعنا حين نقوم بواجباتنا الدينية الفردية، ونستكثر من توزيع باقات من الورد فرحاً بمولد الرسول الكريم ظناً منا أننا أدينا الواجب و أوصلنا حبنا لرسول الله صلى الله عليه وسلم، والمرأة اذا شاركت هذه الاحتفالات ربما نحاسبها على لباسها ونغضب من جرأتها واختلاطها بالرجال، بل قد نحاسبها اذا أخطأت في تأريخ ولادة الرسول صلى الله عليه وسلم..ترى هل غضبنا من أنفسنا حين علمنا أن بعضا ممن يحتفي بمولد رسوله الكريم لا يعرف معنى السجود لله عزّوجلّ.. فكيف نتعامل وإياه ؟ هل نصب غضبنا عليه؟ و نجعل الآمر يحاسبه حساباً عسيراً بدلاً من الوعظ !، و لماذا ننسى و جادلهم بالتي هي أحسن؟

اذن لنبتسم لهم..و نتقرب منهم ونجعل دعوتنا في ميادين جهلهم غير المتعمد، ولننظر إلى حبهم البسيط بعين الداعية الذي يبحث عن الثغرات ليرممها ويمحوها، لا أن يعتلي منبر النقد ويفتش عن أدلة ليثبت صدق قوله في مسألة خلافية عند الفقهاء..رفقا بهم فمن أنكرت عليه فعله لن يفهم هذا الدليل أو ذاك ولربما لن يقرأ ما جاهدت لإثباته..ردد التكبير أمام من لا يعرف الصلاة ولا تعبأ بفتوره فمرة تلو أخرى سيسابقك إلى المساجد..توضأ أمام من لا يحسن الوضوء ولا تسفه خطأه، بل علمه بالفعل وليس بالقول، فكم من قول نفّر من دون أن يصلح و لا ينفع..

سابق الفتيان إلى دروس العلم والمحاضرات ولا تظن نفسك عالماً لا تليق به مجالس العامة فقلبك يحتاج لموعظة بسيطة بين حين وآخر لتبكي تقصيرك وغفلتك.. مانحتاجه حقاً ثقة بقدرتنا على التغيير وأن نبدأ به من أنفسنا، و من بيوتنا، و في شوارعنا، و جامعاتنا، و ليس في مساجدنا فحسب !..

حين سأل زيد بن حارثة رسول الله متعجباً بعد عودته من الطائف:"كيف تعود يا رسول الله إلى مكة وهم أخرجوك"، فأجابه في ثقة واطمئنان قائلاً:"يا زيد إن الله جاعل لما ترى فرجا ومخرجا، وإن الله ناصر دينه ومظهر نبيه".. فالقسوة والعذاب مما عاناه في مكة، وإن الذي عرفه من أذى أهل الطائف، لم يكن له أي تأثير بثقته بالله عزّو جلّ، بل عاد بعزيمة إيجابية ورغبة في التغيير وتحدي الظروف لصناعة واقع مغاير..

فالعقبات والمحن لا يفترض ان نجعلها سبباً للفتور والكسل، بل وسيلة لإيقاظ الغافلين و تنبيههم ليعودوا الى اتباع الطريق القويم طريق الاسلام .

فلا تتركوهم لجهلهم، ولا لسهوهم، بل عظوهم بمواعظ بسيطة تلين القلوب الغافية، و بيد مبللة بطهرالوضوء، وبجباه حملت أثر السجود، و عندها سينتبه الغافلون ويسارعون للصفوف الأمامية.. من غيركم يروي ظمأ الأمة للعلم ونور الشريعة..

من غيركم يضيء دروب الشباب ممن يلتمسون فيكم القدوة .. وكل ما يريدونه مزيدا من الوقت وبعضا من زكاة علمكم لتنير مواقع السجود.. فاقرأوا لهم إن استطعتم.. لتعود تلك الحلقات المتناثرة في المساجد.. لكتب قديمة يجتمع عليها طلبة العلم الذين ظنوا أنهم بورقة ختمت من جامعتهم قد اكتسبوا جميع العلوم ونسوا أنهم أمام أول طريق العلم.. مازال في الوقت متسعٍ لتوبة غافل فافتحوا لهم أبواب الدعاء وأنيروا عتمة أيامهم..

مظاهر واقعنا الحالي و نتساءل، من لتلك المسنة التي تنتظر العيد صائمة من دون أن تدري أنه أبيح لها الفطر لمرضها المزمن.. أو لأخرى لم تعلم بكفارة أو قضاء.. أولرجل تهاوت سنين عمره من دون أن يدري أن الطلاق المتكرر على لسانه قد أحال الحلال حراما..أو لجيل شارفت خطواته على تخطي الحرام، و هو لا يعلم أن هذا وذاك منكر فيجتنبوه.. و نقول يا شيخي ويا قدوتي ان الأمة تحتاج لعلمك فأين أنت من زكاة علمك؟!...

هم الحائرون
وأنتم الشموع
قبل أن يفتك
بنا الجهل، يا كل
المنظّرين كفانا
جدالاً فتكبيرة
الرحيل من زمن
الخلاف قد بدأت،
وآن لنا أن نتكاتف
فالأمة بحاجة لكل
الجهود..

و نذكر ببعض من

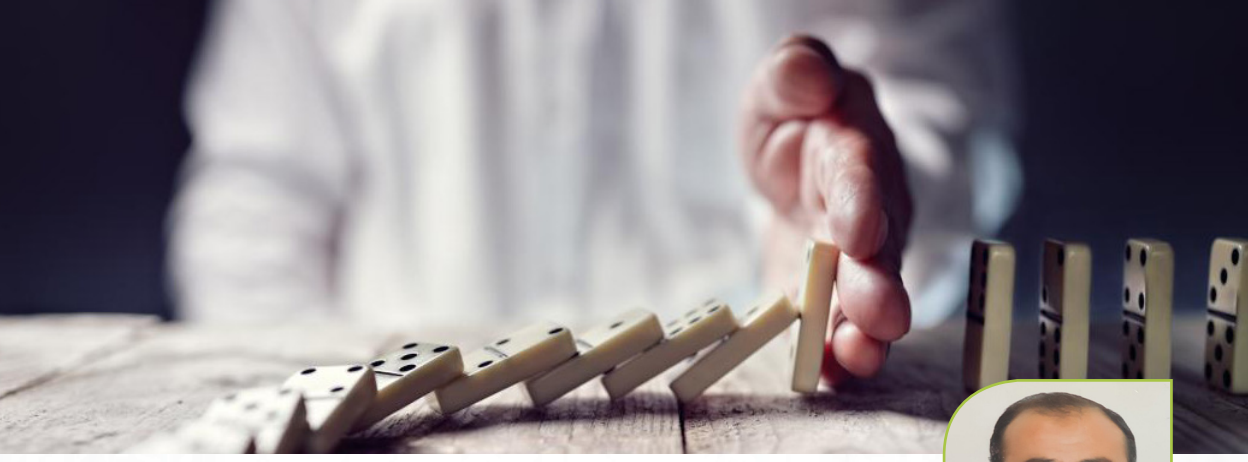

دور الاسرة في الوقاية من الادمان

د. يوسف قريشي
طبيب اعصاب ورئيس الجمعية العربية لمكافحة المخدرات و الادمان

تعتبر الاسرة الخلية الاولى للمجتمع، التي ينشأ فيها الطفل ويرتبط بها ، لذا فإن على الأسرة واجب توعية الأبناء ومراقبتهم وتهيئة الجو الملائم لهم حتى تجنبهم مخاطر الادمان بوساطة:

1- تقديم القدوة الحسنة ممثلة بالأب و الأم .

2- الحفاظ على جو الهدوء و المحبة داخل الاسرة المستقرة يعتبرحصنا منيعا عن الادمان.

3- الخلافات بين الزوجين يجب أن تحل بعيدا عن سمع و بصر الأبناء.

4- تربية الأبناء على القيم الدينية، و الطلب منهم ارتياد دور العبادة منذ الصغر.

5-مساعدة الوالدين الأبناءعلى تقوية شخصياتهم و تعليمهم ابداء الرأي من دون خوف مهما كانت آراء الاخرين.

6- اكتشاف الطاقات الكامنة في الأبناء وتقويتها، و السماح لها في البروز، فالأبن الناجح يصعب سقوطه في مهاوي الادمان ، بعكس الأبن الفاشل الذي هو الاقرب لإعتياد الإدمان.

7- اتباع اسلوب التوازن في تربية الأبناء من دون التميز بينهم، و عدم القسوة أو الدلال الزائد على الحد .

8- تنمية روح الحوار بين الآباء و الأبناء و التعود على طرح المشاكل الشخصية داخل الاسرة.

9- مراقبة مصروف الأبناء بأن لا يزيد على الحاجات الضرورية المتعارف عليها .

التدقيق في اختيار أصدقاء الأسرة من الجيران و غيرهم، وعدم تغيب الوالدين مدة طويلة عن المنزل.

10- على الاسرة الحرص المستمر على مراقبة الأبناء بقصد وقايتهم من ادمان المخدرات، و محاولة الإكتشاف المبكر لتعاطي الأبناء المخدرات، و التعامل مع هذه الحالة بحكمة و الإسراع الى معالجة الاسباب التي قادت الإبن للادمان، و تقديم يد العون و التشجيع له للتخلص من هذه الآفة حتى يعود الابن عضوا ناجحا و فعالا في المجتمع.

11- اذا كان المريض يرفض العلاج ، فيمكن لذويه تقديم طلب رسمي الى ادارة مكافحة المخدرات أو أحد فروعها في الدولة بطلب علاجه قسرا، وسوف يتم احتضانه من قبل الجهات المختصة بالتنسيق مع ذوية و اخضاعه للعلاج، وهذا يمثل أحد صور التعاون و الدعم من الدولة تجاه مدمني المخدرات و لصالح الأسرة المنكوبة.

لماذا؟

لماذا يصمت العالم عن الإرث الظالم لدى اليهود ولا ينتقدونه ولا يُشنعون عليه، بل يهتمون بميراث المسلمين، و ينتقدونه بزعم انه لا ينصف المرأة ؟! و لبيان ان هذه الحملة تستهدف الاسلام ظلما و عدوانا، نذكر فيما يلي بعض قواعد الميراث في التوراة :

1- ان الأم اليهودية محرومة الإرث من ولدها وابنتها بصفة دائمة وليست معدودة من الورثة أصلا.

2- ان البنت اليهودية لا حق لها في الميراث إذا تزوجت في حياة أبيها، وأنها إذا أرادت الميراث فعليها أن تضحي بشبابها، وتعيش حياة العنوسة بكل مشاكلها حتى يموت الأب لتأخذ حقها في الميراث ، و ربما تموت قبل موت أبيها فتخسر كل شيء.

3- ان الأخت اليهودية لا ترث من أخيها شيئا إذا كان معها أخ أو أبناء أخ.

4- ان الإبن البكر يُعطى ضعفي الإبن الثاني والثالث، فإذا كانوا ثلاثة أبناء يأخذ الإبن البكر النصف ويأخذ الإبن الثاني والثالث الربع لكل واحد منهما.

ومع هذا التفاوت الواضح والتميز الصارخ بين البنات المتزوجات وغير المتزوجات، وبين الإخوة الذكور والأخوات الإناث، والأب والأم في أصل الميراث وتوريث بعضهم من دون بعضهم الآخر، وتفضيل الإبن البكر على من يولد بعده، على الرغم من اتحاد الجنس والقرابة ، فاليهود ساكتون لا يشكون ولايحتجون على نظام إرثهم هذا، و لكن باحثيهم و وسائل إعلامهم تشن حملة شرسة على نظام الإرث الإسلامي، و قواعده أكثر عدلا و انصافا من قواعد الإرث المقررة في التوراة.

وبالنسبة لدعاة المساواة بين الجنسين وأدعياء حقوق الإنسان والمهووسين بالمطالبة في مساواة المرأة المسلمة بإرث الذكر.

فلا نسمع أحداً منهم لا في الشرق ولا في الغرب يتحدث عن الغبن في الإرث الذي يلحق المرأة اليهودية!، و لا أحد يثير قضيتها أو يهاجم نظام الإرث التوراتي، كما دأبوا على مهاجمة قواعد الإرث الإسلامي و التشهير به!

و هذا الأمر الذي يدعو إلى التساؤل عن سر إدعاء هذا التعاطف مع المرأة المسلمة في المطالبة بمساواتها مع الذكر في الإرث، وتحريضها على التمرد على دينها وشريعتها بكل الوسائل، مع السكوت المطلق والصمت المريب عن قضية إرث المرأة اليهودية ومعاناتها...؟!

EDZ
Electricité de Zahlé

بدنا نبقى عَ ضـو
الضوّ بـدو إنتـاج

شركة كهرباء زحلة